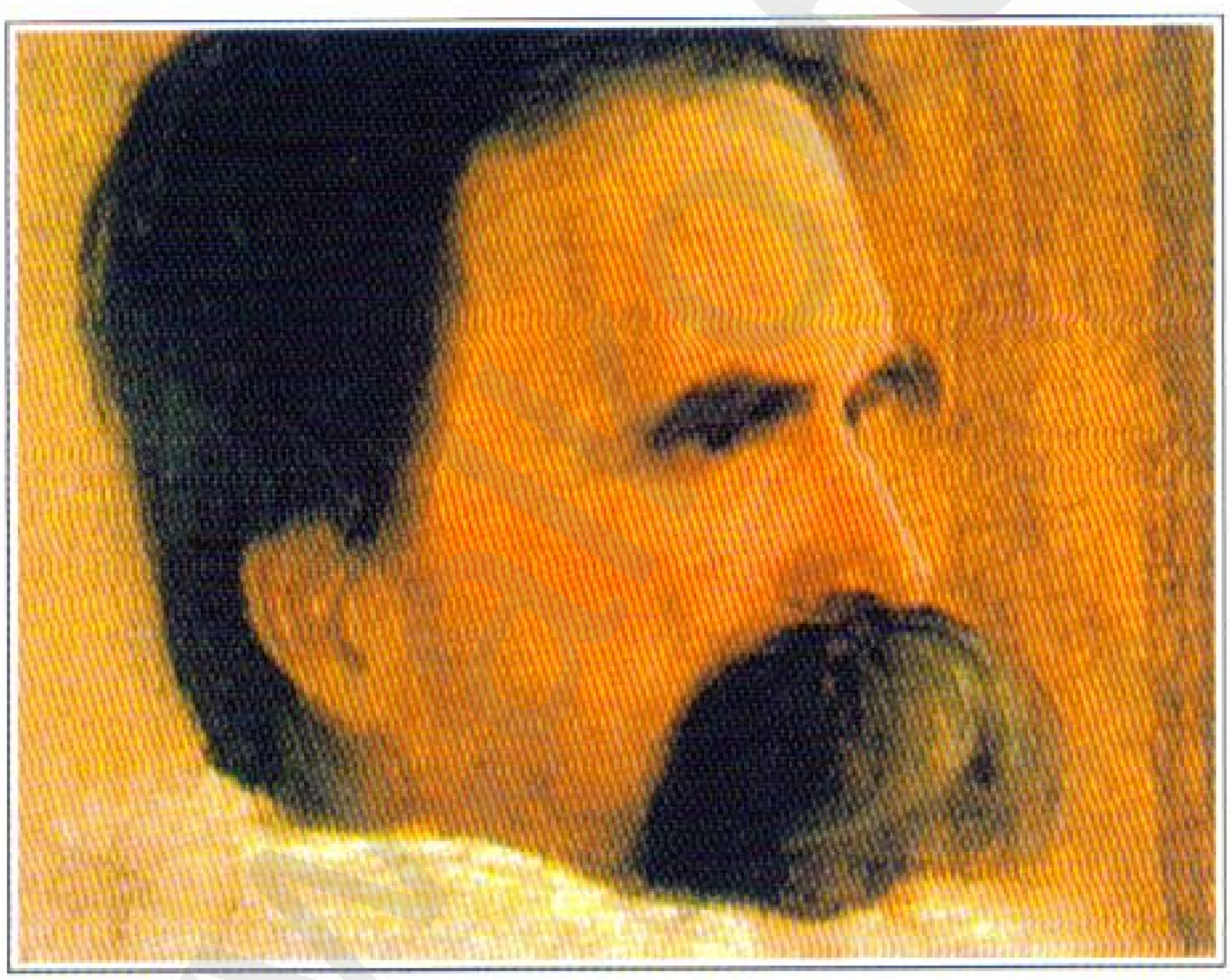
فريدريش نيتشه

غسق الأوثان

أو كيف نتعاطى الفلسفة قرعاً بالمطرقة



ترجمة: علي مصباح

منشورات الجمل

فريدريش نيتشه

غسق الأوثان

أو

كيف نتعاطى الفلسفة قرعاً بالمطرقة

ترجمة: علي مصباح

منشورات الجمل

ولد **فريدريش نيتشه** (١٨٤٤–١٩٠٠) في لوتسن وتوفي بمدينة فايمار بألمانيا. فيلسوف ألماني. من أعماله: **هكذا تكلّم زرادشت** (١٨٨٣–١٨٨٥)، **ماوراء الخير والشر** (١٨٨٦)، **المعرفة المرحة** (١٨٨٢)، **قضية فاغنر** (١٨٨٨).

ولد **علي مصباح** عام ١٩٥٣ بتونس. روائي ومترجم تونسي يقيم ببرلين. صدر له عن منشورات الجمل: **بيتر سلوتردايك: «الإنجيل» الخامس لنيتشه** (ترجمة) ٢٠٠٣؛ **فريدريش نيتشه: هذا هو الإنسان** (ترجمة) ٢٠٠٣؛ **فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت** (ترجمة) ٢٠٠٧.

فريدريش نيتشه: **غسق الأوثان**، ترجمة علي مصباح، الطبعة الأولى

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Friedrich Nietzche: *Goetzen-Daemmerung*, 1889

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

غسق الأوثان
أو
كيف نتعاطى الفلسفة قرعاً بالمطرقة[1]

(١) قدم نيتشه مخطوطة كتابه إلى الناشر وهي تحمل عنوان: «عطالة خبير نفساني»، ثم أبدله بطلب من ناشره بيتر غاست الذي رآه غير ملائم للمحتوى ذي الجدية البالغة للكتاب. وقد كتب بيتر غاست لنيتشه يقول: «إن عنوان «عطالة خبير نفساني»، عندما أحاول أن أتمثل المفعول الذي سيكون له على القارئ، يبدو لي دون ما ينطوي عليه الكتاب من قوة. لقد خرجتم بعدتكم الحربية الثقيلة إلى أعلى المرتفعات، ولديكم من المدافع ما لايوجد له من مثيل، وليس لكم إلا أن تطلقوا النار بعينين مغمضتين كي تصيبوا كل محيطكم بالهلع. إن خطوات العملاق التي ترتعش لها أعماق الجبال لا علاقة لها بخطوات عاطل في نزهة. وفي وقتنا الحاضر لا تأتي العطالة عادة إلا بعد العمل، ولا يمكن أن نتمثلها إلا مقترنة بالتعب. أرجوكم، إذا ما حق لرجل غير ذي كفاءة أن يتقدم إليكم بهذا الرجاء: عنوانا أكثر إشعاعا ومهابة. وكان رد نيتشه: «في ما يتعلق بالعنوان، لقد جاءت ملاحظتكم الكريمة مطابقة لما كان يدور في ذهني أنا أيضا. وأخيرا قد وجدت من صلب المقدمة الصيغة التي قد ترضي انتظاراتكم أيضا. أما بخصوص ما كتبتموه عن «العدة الثقيلة» فلا يسعني، وأنا بصدد إنهاء الكتاب الأول من «قلب القيم» إلا أن أقبل به. =

= إنه ينتهي بالفعل بقرقعة انفجارات رهيبة. . . .» ويضيف نيتشه في نفس الرسالة أن العنوان الجديد الذي وجده يمثل «غمزة أخرى غير بريئة موجهة ضد فاغنر» الذي كان قد ألف مقطوعة *«غسق الآلهة»*. ومن خلال المسودات التي تتضمنها الدفاتر نرى أن نيتشه قد تردد بين صيغ مختلفة متتالية: «مطرقة الأوثان»؛ عطالة خبير نفساني، ثم : «مطرقة الأوثان؛ أو كيف يطرح خبير نفساني أسئلته». وأخيرا جاء العنوان النهائي الذي نعرفه. كان نيتشه يسجّل تلك الصيغ الأولى، أو مسودات العنوان في أعلى صفحات مخطوطة «نقيض المسيح» وبالضبط في أعلى الفقرتين ٤٧ و ٤٨، الأمر الذي يبرر اعتبار الكتابين توأمين في الحقيقة.

مقدمة

إنها حقا لبراعة من الدرجة الرفيعة أن يظل المرء محافظا على مرحه وهو يخوض في قضية قاتمة وعلى غاية من الجدية والمسؤولية؛ ومع ذلك، أيّ شيء يمكن أن يكون أكثر لزوما من المرح؟ لا شيء يمكنه أن يكلل بالنجاح إن لم يكن للجرأة من يد فيه. وإن فائضا من القوة لهو وحده المؤشرعلى القوة. *قلبٌ لكل القيم*، نقطة استفهامٍ على غاية من القتامة، وعلى غاية من الفظاعة بما يجعلها تلقِي ظلالا قاتمة على طارحها- مهمة بحجم قدر مثل هذه تفرض على صاحبها أن يركض في كل لحظة إلى الشمس، وأن يزيح عن كتفيه عبء جديّة قد غدت أكثر ثقلا مما يمكن أن نتحمل. كل وسيلة صالحة لهذا الغرض، وكل «واقعة» حدث سعيد. *الحرب* على وجه الخصوص. فالحرب كانت تجسد على الدوام الفطنة الكبرى لكل العقول التي بلغت درجة رفيعة من الباطنية ومستوى أقصى من العمق؛ إذ في الإصابة أيضا تكمن طاقة المعافاة. هناك مقولة لا أريد أن أبوح لفضول العلماء بمصدرها وهي:

Increscunt animi, virescit volnere virtus(*).

هناك وسيلة علاج أخرى يمكن أن أفضّلها، وهي *استنطاق الأوثان*. . . فهناك أوثان أكثر من الأشياء الواقعية في العالم: تلك هي «عين السوء» التي أنظر بها إلى هذا العالم، وتلك أيضا «أذن السوء» التي أصغي بها إليه. . . أن نطرح أسئلة قرعا *بالمطرقة*، وأن يكون ما نتلقاه كإجابة عن سؤالنا، ربما تلك الغرغرة الجوفاء الشهيرة التي تنطق من داخل أمعاء مصابة بالانتفاخ -أية متعة في ذلك لمن كانت له أذنان خلف أذنيه -لي أنا السيكولوجي القديم والحاوي العريق الذي يجعل الأشياء الأكثر حرصا على التكتم مرغمة *على النطق بصوت مسموع* أمامه. . .

هذا المؤلَّف - وكما يوحي بذلك العنوان- هو أيضا حصة استراحة أولا وقبل كل شيء، رقعة تشمّس، فاصلة كسل مؤقتة لعالم نفساني. ولعله أيضا حرب جديدة؟ وربما نسترق السمع من خلاله إلى أوثان جديدة؟. . . هذا المؤلف الصغير *إعلان حرب كبرى*. أما عن استنطاق الأوثان، فإن الأمر لا يتعلق في هذه المرة بأوثان معاصرة، بل بأوثان *أبدية* يتم تحريكها هنا بالمطرقة، كمن يحرك رنّانة معيار النغم؛ أوثان ليس هناك على

(*) *«الجرح يحفّز و يستنهض الشجاعة»*، للشاعر الروماني فوريوس أنتياس (ق ٢ قبل الميلاد)، من كتاب «فوريانا» وهو مؤلف ضائع لم يتبق للناس منه سوى هذا البيت الذي ينقله أولوس جيلليوس المعاصر له (*ليالي أتيكا*).

الإطلاق من أوثان أكثر قدما منها، وأكثر وثوقا، وأكثر انتفاخا. . . ولا أكثر خواء أيضا. لكنّ هذا لا يمنع من أنها هي التي يؤمَن بها *أكثر من غيرها*؛ حتى أنه لا يقال حتى عن أرفعها مقاما بأنها أوثان. . .

تورينو في ٣٠ سبتمبر/ أيلول ١٨٨٨
في اليوم الذي تم فيه كتاب *قلب كل القيم*.
فريدريش نيتشه

أمثال ولواذع

١

العطالة بداية كل علم نفس. ماذا؟ أتكون البسيكولوجيا- رذيلة؟

٢

الأكثر شجاعة من بيننا لا يملك هو أيضا إلا نادرا الشجاعة التي تتلاءم وما يعرف حقا. . .

٣

على الكائن أن يكون حيوانا أو إلها كي يعيش وحيدا، يقول أرسطوطاليس. لكن تنقص هنا الحالة الثالثة: أن يكون كليهما معا: *فيلسوفا*. . .

٤

«كل حقيقة بسيطة»[٢]. -أليست هذه كذبة مزدوجة؟-

---

(٢) شوبنهاور: (*"simplex sigillum veri"*) أو ما معناه: البساطة هي ختم الحقيقة.

٥

هناك الكثير مما لا أريد نهائيا وقطعا أن أعرفه. -إن الحكمة تضع حدودا للمعرفة أيضا.

٦

في طبيعته المتوحشة يستريح المرء على أفضل وجه من طبيعته المشوّهة؛ من مكوّنته العقلية[٣] . . .

٧

ماذا؟ تُرى الإنسان مجرد خطأ إلهي؟ أم أن الله مجرد خطأ بشري؟

٨

عن *المدرسة الحربية للحياة*: ما لا يقتلني يجعلني أكثر قوة.

٩

أعنْ نفسك؛ وسيساعدك الجميع: مبدأ محبة ذي القربى.

١٠

أن لا يقابل المرء أفعاله بالجبن! أن لا يتخلى عنها ويتنكر لها في ما بعد! تأنيب الضمير سلوك غير لائق.

---

(٣) مستوحاة من مقولة: «نحتاج بين الحين والآخر إلى شيء من تبلد الذهن» عن (*Journal des Goncourt* I, 292)

١١

هل يمكن لـحمار أن يكون مأساويا؟- لكون الواحد ينوء تحت حمل لا هو قادر على حمله، ولا هو يستطيع أن يلقي به؟. . . إنها حالة الفيلسوف.

١٢

عندما يكون للمرء غايته في الحياة، يكون بوسعه أن يتلاءم مع كل الكيفيات تقريبا. - فالمرء لا يطمح إلى السعادة؛ - الإنكليزي وحده يفعل ذلك.

١٣

لقد خلق الرجل المرأة - مماذا؟ من ضلع إله - من «مثله الأعلى»[٤]. . .

(٤) نجد في دفاتر بداية ١٨٨٨ وخريف ١٨٨٨، تحت شفرة W II 3,9 صيغة أولى تبدأ بهذه الجملة المشطوبة: «المرأة، الأنثى الخالدة: مجرد تصور لقيمة خيالية لا يؤمن بها غير الرجل. وفي دفتر آخر يسجل نيتشه هذه المقولة: «لقد صنع الإنسان المرأة بأن أضفى عليها كل شعريته. . .» (غافارني). وفي *Journal des Goncourt* (Paris, 1887, I, 283) نقرأ: «وانتقلت المحادثة إلى الكلام عن المرأة. وكان رأيه أن الرجل هو الذي صنع المرأة، والذي منحها كل شعريته.»

١٤

ماذا؟ أنت تبحث؟ تريد أن تضاعف نفسك عشرات المرات، ومئات المرات؟ تبحث عن أتباع؟ -لتبحثْ لك إذن عن *أصفار*!-[٥]

١٥

الرجال الذين سيولدون بعد الممات- أنا على سبيل المثال- سيسوء فهمهم أكثر من المطابقين لعصرهم، لكنه سيُستمع إليهم بصفة أفضل. ولنقلها بأكثر صرامة: لن يكتب لنا أن نُفهم البتة؛ -من هنا تكون *سلطتنا*[٦]...

١٦

حديث نساء: -«الحقيقة؟ أو، أنتِ لا تعرفين الحقيقة! أليست اعتداء على حيائنا؟»-

١٧

---

(٥) صياغة أولى ترد في دفاتر ١٨٨٨ (W II, 3,85): «نعرف ما الذي يحتاجه المرء كي يضاعف قواه عشرات الأضعاف: أصفارا.» وفي الصفحة المقابلة، مقتطف من يوميات غونكور: «يبحثون عن صفر كي يضاعفوا قيمتهم عشرة أضعاف.»

(٦) يضيف نيتشه في المسودات: ...(لأن من يفهم يغدو مساويا) وقد جاءت بالفرنسية في الأصل (denn *comprendre, c'est égaler*...) تذكّرنا هذه المقولة بجملة لغوته أيضاً: «*أنت ندّ للعقل الذي تفهمه*» (م).

هذا فنان كما أحب الفنان، متواضع في حاجياته: إنه لا يحب في الحقيقة سوى شيئين، خبزه اليومي و فنّه- *panem et Circen*...

١٨

من لا يعرف كيف يضع إرادته في الأشياء، يضع على الأقل رأيه داخلها: يعني أنه يؤمن بأن إرادةً ما توجد داخلها(إنه المبدأ الذي يقوم عليه «الإيمان»).

١٩

ماذا؟ لقد اخترتم الفضيلة والصدر البارز، وفي الآن نفسه ترنون خلسة إلى امتيازات السفهاء؟- لكن، مع الفضيلة يتنازل المرء عن «الامتيازات»... (-معلقة-على باب معادٍ للسامية).

٢٠

الأنثى الكاملة تتعاطى الأدب كما تتعاطى خطيئة صغيرة؛ كشيء تجرّبه للحظة عابرة، متلفّتة من حولها إن كان هناك من يلاحظ ذلك، حريصة على أن يكون هناك من يلاحظ ذلك...

٢١

أن يضع المرء نفسه في مواضع لا ينبغي له فيها أن يكون ذا فضائل زائفة، بل أن يكون كالبهلواني المتمشي على حبل، إما أن يقع أو يقف مستويا على قدميه- أو أن ينجو بجلده....

٢٢

«أشرار الناس لا يعرفون أغاني.»[٧] - بم نفسر إذن أن يكون للروس أغان؟

٢٣

«الروح الألمانية»: *contradictio in adjecto* (تناقضًا في المضاف) غدت هذه العبارة منذ ثمانية عشر سنة.[٨]

٢٤

لفرط ما يبحث المرء عن البدايات يتحول إلى سرطان.
المؤرخ ينظر القهقرى؛ ثم ينتهي بأن يؤمن القهقرى.

٢٥

الرضى يحمي حتى من الإصابة بنزلة البرد. هل حصل مرة لامرأة تجيد اختيار ملابسها أن أصيبت بنزلة؟-حتى في صورة ما إذا كانت بالكاد لابسة.

٢٦

لي ريبة تجاه كل النظاميين وأحرص على الابتعاد عن طريقهم. إرادة النظام نقص في الاستقامة.

---

(٧) من قصيدة «الأناشيد» للشاعر ج.غ. صويما (J.G.Seume)، ذهبت مثلا في ما بعد. وهي مقتطعة من شذرة طويلة غير منشورة عن الأغاني الشعبية لـ «الموجيق».

(٨) أي منذ تأسيس الرايش.

٢٧

هناك اعتقاد بان المرأة عميقة -لماذا؟ لأن المرء لا يلمس لها قاعا. المرأة ليست حتى بالمسطحة.[٩]

٢٨

عندما تكون المرأة ذات خصال رجالية، فليس على المرء سوى أن يتحاشى قربها.

٢٩

كم كان على الضمير أن يخز أصحابه في ما مضى؟ وأية إبر جيّدة كان يملك لذلك؟ - سؤال إسكافيّ.[*]

٣٠

قلّما يأتي المرء عملا طائشا لمرة واحدة فقط. في المرة

---

(٩) جاءت الصيغة الأولية لهذه الجملة كالآتي: «. . . العمق. ليس للمرأة من عمق. إنها برميل الدانائيد (des Danaïdes). أنظر هذه الجملة لغافارني في "*Journal des Goncourt*" (يوميات غونكور) : «سألناه إن كان قد حصل له مرة أن فهم امرأة ؟ -امرأة! إنما المرأة شيء لا يمكن سبر أعماقه، لا لأنه عميق، بل لأنه خاو!»

(*) تستعصي على الترجمة مع الحفاظ على التلاعب اللفظي الخاص باللغة الألمانية في هذا السياق. فتأنيب الضمير يعبّر عنه في الألمانية بعبارة «عضّات الضمير»، لذلك ستكون هناك أسنان وطبيب أسنان في الجملة النيتشوية. وبما أن اللغة العربية تستعمل عبارة «وخز الضمير»، فقد لجأنا إذًا إلى الإبر والإسكافيّ في ترجمتنا. (المترجم)

الأولى يكون قد فعل أكثر مما ينبغي. ولذلك بالذات يكون عليه عادة أن يعيد الكرة- وإذا هو الآن لا يفعل بالقدر المرغوب.

٣١

الدودة المداسة تنكمش على نفسها. إنها عين الفطنة، بذلك تحدّ من إمكانية أن تداس ثانية. في لغة الأخلاق يسمى هذا: *تواضعا*.

٣٢

هناك كراهية للكذب والتستر من منطلق واعز شرف مرهف؛ وهناك كراهية مماثلة منطلقها الجبن، طالما أن الكذب ممنوع بموجب تحريم إلهي. (كقولك) أجبنَ من أن يكون قادرا على الكذب...

٣٣

لكم هو قليل ما يحتاجه المرء كي يكون سعيدا! صوت آلة هوائية.- لو لم تكن هناك موسيقى لكانت الحياة خطأ. الألماني يعتقد نفسه إلها مغنيا.(١٠)

---

(١٠) ...إلها مغنيا.) يقتبس نيتشه هذه الجملة من قصيدة «الوطن الألماني» (١٨١٣) للشاعر إرنست موريتس آرندت. وقد أجرى تبديلا مقصودا على صياغة البيت أدخل شيئا من البلبلة في ذهن بيتر غاست الذي كاتبه في الأمر ظنا منه أن نيتشه قد أخطأ في تأوّل البيت بمجرد خطأ نحوي سببه التباس في التصريف. يرد البيت في أصله: «طالما ظل اللسان الألماني =

٣٤

"*On ne peut penser et écrire qu'assis*"(*) (*Gustave Flaubert*)

(«لا نستطيع أن نفكر ونكتب إلا جلوسا»). ها قد ضبطتك متلبسا، أيها العدمي! فاللحم القاعد هو بالذات *الخطيئة* في حق الروح القدس. إنما الأفكار *الماضية* هي وحدها التي لها قيمة.

٣٥

هناك حالات نكون فيها مثل الجياد، نحن الخبراء النفسانيون، تعترينا فيها حالة من الاضطراب: نرى ظلنا الخاص يتأرجح أمامنا. على العالم النفساني أن يصرف النظر عن نفسه كي يستطيع أن يرى.

= يصدح/ والربَّ (منصوبة) في السماء ينشد.» (أو «ويغني للرب في السماء» إن لم نحافظ على الترجمة الحرفية للجملة). (Soweit die deutsche Zunge klingt/ Und Gott im Himmel singt:)، وهكذا يكون اللسان الألماني هو الفاعل لفعل «يغني» أو «ينشد». لكن الجملة ستصبح عند نيتشه: «الألماني يعتقد نفسه إلها يغنّي» كما لو أنه فهم البيت كالآتي: «طالما ظل اللسان الألماني يصدح، والربُّ (مرفوعة) في السماء يغني». يحاول بيتر غاست أن يجلب انتباه نيتشه إذن إلى الخطأ النحوي الذي يتمثل في الخلط بين الفاعل والمضاف إليه/ المفعول به. لكن نيتشه يرد عليه: «صديقي القديم (وقد يعني أيضا: صديقي العجوز)، لم ترتقوا بعد مطلقا إلى مستواي بصيغكم النحوية (من رفع وكسر) إنما صيغة الفاعل هي اللمسة الساحرة في هذا الموقع، والمبرر الضروري لوجودها.

(*) بالفرنسية في النص الأصلي.

٣٦

إن كنا، نحن اللاأخلاقيون، نلحق *ضررا* بالأخلاق؟ بلى، لكن بما لا يتجاوز ما يلحقه الفوضويون بالأمراء. إذ، فقط بعد أن تطلق عليهم النيران يعود هؤلاء إلى الجلوس على العرش بصفة ثابتة. العبرة: على المرء أن يطلق النار على الأخلاق.

٣٧

أنت تسير في المقدمة؟ هل تفعل ذلك كراعٍ؟ أم كاستثناء؟ الحالة الثالثة ستكون حالة *التائه*... سؤال أول لضميرك.

٣٨

هل أنت حقيقي؟ أم مجرد ممثِّل؟ موكَّل(بفتح)؟ أم الموكِّل عنه نفسه؟ -وأنك بالنهاية لا تعدو كونك نسخة عن ممثِّل... سؤال ثان لضميرك.

٣٩

خائب *الظن* يتكلم. كنت أبحث عن رجال عظام، وعلى الدوام لم أكن أجد سوى قردة تحاكي مُثُلهم.

٤٠

هل أنت متفرّج؟ أو واحد يضع يده في ما يُعمل؟ -أم واحد يصرف نظره ويمر جانبا؟... سؤال ثالث لضميرك.

٤١

أتريد أن تسير مع الجميع؟ أن تسير في المقدمة؟ أم تمضي لنفسك؟ . . .

على المرء أن يعرف *ماذا* يريد، و*أنه* يريد. سؤال رابع لضميرك.

٤٢

كانت تلك درجات بالنسبة لي، قد تسلقتها وكان علي أيضا أن أتجاوزها. غير أنهم كانوا يعتقدون أنني كنت أريد أن أجلس فوقها لكي أستريح . . .

٤٣

أي أهمية أن يعترف لي بأنني على حق! إن لي فائضا هائلا من الحق. - والذي يضحك اليوم بصفة أفضل، سيكون هو الذي سيضحك في النهاية.

٤٤

القاعدة التي تقوم عليها سعادتي: إجابة بنعم، إجابة بلا، خط مستقيم، وهدف . . .

مشكلة سقراط

١

لقد كان لأحكم الحكماء جميعا وعبر العصور كلها حكم واحد على الحياة: *إنها لا تساوي شيئا*. . . على الدوام، وفي كل مكان ظل الناس يستمعون إلى نفس النغمة من أفواههم،- نغمة مترعة شكًا، مترعة كآبة، مترعة تعبا من الحياة، مليئة مقاومة ضد الحياة. وسقراط نفسه كانت مقولته عند موته: «الحياة هي: أن المرء يظل مريضا لفترة طويلة من الزمن؛ إنني مدين بديك للمنقذ أسقيليبيوس[١١].» سقراط نفسه قد ملّ الحياة. عمّ *يدلّ* ذلك؟ إلام يشير ذلك؟ في ما مضى، كان سيقال (ولقد قالوا ذلك وبصوت مسموع بما فيه الكفاية، وفي مقدمتهم متشائمونا[١٢]): «لا بد أن يكون في هذا شيء من الصحة على

(١١) أفلاطون: فيدرا 118.a.
أسقيليبيوس هو إله الطب والشفاء لدى الإغريق. ظهرت عيادته في مدينة أبيداورس. ورمزه الثعبان المقدس. يمكن للقارئ العربي أن يجد تعريفا بأسقيليبيوس في كتاب «*عيون الأطباء*» لأبي أصيبعة. (المترجم)

(١٢) إشارة إلى شوبنهاور، ونجد في دفاتر ١٨٨٨ تحت شفرة W II 5, 50 وفي =

أية حال! فإجماع الحكماء (*consensus sapientium*) لا يمكن أن يكون سوى دليل على الحقيقة.»- فهل سنتكلم اليوم أيضا بمثل هذا الكلام؟ هل يحق لنا ذلك؟ -«لا بد أن هناك شيئا مريضا في هذا»، سيكون جوابنا؛ على المرء أن ينظر عن قرب إلى هؤلاء الحكماء الكبار من كل عصر. ربما كانوا جميعهم على قدر من الوهن بحيث لم يعد بوسعهم الوقوف بثبات على قدميهم؟ ربما كانوا على عتبات النهاية؟ مزعزعين؟ منحطين؟ أو لعل الحقيقة كانت تظهر على الأرض في هيأة غراب ينتشي بشيء قليل من رائحة الجيف؟...

٢

هذا الرأي المتجاسر بأن كبار الحكماء كانوا *عيّنات انحطاط*، قد تولد لديّ أنا أيضا، وبالذات بشأن حالة يقابله فيها

= موقع لاحق من نفس الدفتر تحت شفرة W II 5,51 صياغتين أوليتين لهذه الفقرة ، سيتم تعديلهما واختزالهما في الفقرة التي بين يدينا الآن. في هاتين الفقرتين يرد ذكر شوبنهاور كالآتي: «في ما مضى، كان سيقال (وقد قالوا ذلك ألف مرة!) وآخرهم كان شوبنهاور بصوت بأكثر ما يمكن من (القوة) البراءة: «لا بد أن يكون في هذا شيء من الصحة على أية حال! فإجماع الحكماء (consensus sapientium) لا يمكن إلا أن يكون دليلا على الحقيقة.» ثم يرد ذكر شوبنهاور في الصياغة الثانية كما يلي: «في ما مضى (وشوبنهاور نفسه ينتمي، هو أيضا، إلى أهل الماضي) كان سيقال، وقد قالوا ذلك بالفعل آلاف المرات! وآخرهم كان شوبنهاور، وبأكثر ما يمكن من القوة: «لا بد أن يكون في هذا شيء من الصحة على أية حال!...»

الرأي المسبق لكل العلماء وغير العلماء بأشدّ ما يمكن من الرفض: لقد رأيت في كل من سقراط وأفلاطون عرضيْ انحلال، أداتيْن للتفكك الإغريقي، إغريقييْن مزيّفيْن ونقيضين للإغريق («مولد التراجيديا» ١٨٧٢). إجماع العلماء هذا -وقد كان لي دوما فهم أفضل لهذا الأمر- لهو أقل ما يمكن أن يدلّ على أنهم على حق في ما اتفقوا عليه: إنما يدل ذلك أكثر على أنهم، هم أنفسهم، هؤلاء الأكثر حكمة من بين الحكماء، ينطوون في مكان ما على قاسم *فزيولوجي* مشترك يجمع بينهم، كي يتخذوا مثل هذا الموقف المتجانس السلبي من الحياة،-كي يكونوا مضطرين لاتخاذ هذا الموقف-. إن أحكاما وأحكاما قيمية على الحياة، مع أو ضد، لا يمكنها البتة أن تكون حقيقية بالنهاية؛ إنها لا تنطوي على قيمة أخرى سوى كونها أعراضا، ولا يمكنها أن تدخل في الاعتبار إلا كأعراض. مثل هذه الأحكام في حد ذاتها حماقة. على المرء أن يمد يده فقط كي يلمس هذه الرهافة المدهشة التي تفيد *بأن قيمة الحياة لا تقاس*. لا الإنسان الحي بمؤهلٍ لذلك، لأنه طرف، بل هو موضوع نزاع وليس حَكَما؛ ولا الميت أيضا، وذلك لسبب آخر. -أما أن يرى الفيلسوف مشكلة في قيمة الحياة، فإن ذلك لمما يُعد مأخذا عليه، ونقطة استفهام حول حكمته، بل وانعدام حكمة أصلا.- ماذا؟ وكل هؤلاء الحكماء العظام، تُراهم لم يكونوا منحطين فحسب، بل وليسوا حتى بحكماء؟- لكنني سأعود الآن إلى مشكلة سقراط.

٣

ينتمي سقراط من حيث الأصل إلى الفئة الأسفل من الشعب: سقراط كان من الرعاع. الجميع يعرف، وما زال بإمكان المرء أن يرى، كم كان سقراط قبيحا.(١٣) غير أن القبح، الذي هو مأخذ في حد ذاته، يعتبر لدى الإغريق أمرا قريبا من الاعتراض. هل كان سقراط إغريقيا أصلا؟ فالقبح غالبا ما يكون تعبيرا عن طبيعة مختلطة، عن تطور *معاق* بالاختلاط. وفي حالات أخرى يظهر كتطور *انحداري*. يفيدنا الأنتروبولوجيون من بين علماء الإجرام بأن المجرم النموذجي قبيح: *monstrum in fronte,monstrum in animo*(*). لكنّ المجرم منحط. هل كان سقراط مجرما نموذجيا؟ لن يكون هذا على الأقل مما سيناقض ذلك الحكم الفزيونومي(الهيئوي) الذي كان له وقع كريه على مسامع أصدقاء سقراط. أحد الأجانب من الذين لهم فراسة ودراية باستقراء صفحات الوجوه قد قال في وجه سقراط وهو يحلّ بأثينا بأنه كائن فظيع، وأنه ينطوي على كل الرذائل والشهوات. وقد أجابه سقراط بكل بساطة: «إنك تعرفني يا سيدي!»(١٤).

---

(١٣) لعل بين السطور تلميحا لقبح شوبنهاور أيضا. (المترجم)

(*) فظاعة في الوجه، فظاعة في الروح.

(١٤) أنظر شيشرون ، يورده لشتنبارغ في «عن الفزيونوميا، كتابات مختلطة» غوتنغن ١٨٦٧.

٤

ليست حالة اضطراب وفوضى الغرائز المعترف بها هي وحدها التي تدل على انحطاط سقراط، بل ويدل على ذلك أيضا زائد الاختصاب المنطقي(*) لديه، وخبث *المشلول* الذي يميزه. ولا ننسى أيضا تلك الهلوسات السمعية التي اتخذت تأويلا دينيا لها تحت إسم «شيطان سقراط»(١٥). كل شيء لديه مبالغ فيه: تهريجي، كاريكاتوري، وكل شيء على قدر متساو من الخفاء والمكر الدفين والسريّة الدهليزية. -أسعى جهدي كي أتمثل أي نوع من الحساسية الخصوصية (idiosyncrasie) استطاع أن يقود إلى مثل هذه المعادلة السقراطية: عقل = فضيلة = سعادة: تلك المعادلة الأكثر غرابة مما يمكن أن يوجد من الغرابات، والتي تعارضها كل الغرائز الهيللينية القديمة على نحو خاص.(١٦)

٥

مع سقراط تدهور الذوق الإغريقي لصالح الجدل: ما الذي

(*) يستعمل نيتشه هنا عبارة Superfötation التي يستقيها من القاموس الطبي، وتعني الاختصاب الإضافي (أو حبَل عارض) بتكوّن جنين إضافي إلى جانب جنين موجود في الرحم منذ مدة. وهي حالة ، أو حادث نادر الوقوع، لكنه يدخل الاضطراب على الحمل العادي.

(١٥) أفلاطون، مدايح سقراط.

(١٦) في مسودات *غسق الأوثان* و *نقيض المسيح* . . . (Mp XVI 4) يضيف نيتشه في هذا الموقع: «كانت المعادلة القديمة هي التالية: فضيلة = غريزة = لاوعي جذري.» وهي المعادلة التي يتبناها نيتشه كمقابل للمعادلة السقراطية-الأفلاطونية.

حدث هنا في الحقيقة؟ هناك قبل كل شيء ذوق رفيع قد انهزم؛ ارتقى الرعاع بفضل الديالكتيك. قبل سقراط كانت السلوكات الجدلية تقابل بالرفض داخل الأوساط الراقية: كانت تعتبر عادات سيئة معيبة تقلل من شأن صاحبها، وكان يُنهى عنها بين الشباب. كما كان لا يوثق بكل من يتخذها أساسا لآرائه. الأشياء الشريفة -كما الشرفاء من الناس- لا تحمل حججها في يدها. وإنه لمن غير اللائق أن يشير المرء بأصابعه الخمس. فكل ما يحتاج أولا إلى تبرير، ليس بذي قيمة. وحيثما كانت السلطة من منزلة العادات الحميدة، حيث لا يكون على المرء أن يبرر، بل أن يأمر، يكون الجدل ضربا من التهريج السخيف؛ يضحك الناس منه ولا أحد يأخذه بجدية. لكنّ سقراط كان المهرج الذي *جعل الناس يأخذونه بجدية*: ما الذي حدث في الحقيقة؟ (١٧)

---

(١٧) نجد في دفاتر WII 5 صيغتين سابقتين على النص النهائي لهذه الفقرة. لا تختلف الصيغة الثانية (WII 5,109) كثيرا عن الصيغة النهائية. أما الأولى فتأتي كما يلي: «سقراط- أفلاطون-أصحاب المنطق الجدلي؛ كان ذلك الانقلاب الذوقي لصالح الجدل حدثا رئيسا. لقد حقق سقراط السوقي بواسطته انتصارا على الذوق النبيل، ذوق النبلاء. إن سيادة الجدل تعني سيادة الرعاع. فكل ما هو أرستقراطي وغريزي ينفر من استعراض الأدلة: للمرء سلطة، والسلطة تأمر... لا أحد يولي الجدل مصداقية، فالأشياء الجيدة لا تحمل حججها في يدها. وكل ما يحتاج إلى تبرير لا يعد ذا قيمة. الجدل قلة لياقة.... وإنه لا يخفى عن فطنة كل الخطباء وكل الأحزاب أن الجدل يثير الريبة وأنه لا يقنع إلا قليلا. الجدل لا يمكن أن يكون سوى وسيلة دفاع ضرورية في يد أولئك الذين لم يعد لديهم من سلاح غيره. وعلى المرء أن يكون مرغما على انتزاع حقه، وإلا فإنه لن يلجأ إلى استعماله. اليهودي جدلي؛ وكذلك كان سقراط؛ بواسطة الجدل =

٦

لا يختار المرء الجدل إلا عندما لا تكون لديه من وسيلة أخرى. والكل يعرف أن استعماله يثير الريبة ولا يقنع إلا قليلا. وليس هناك من أمر يمكن فسخه بسهولة مثل ما يحدثه الجدلي من تأثير: إن تجربة كل التجمعات التي يمارس فيها الكلام تشهد على ذلك. فالجدل لا يمكن أن يكون سوى وسيلة دفاع ضرورية في يد أولئك الذين لم يعد لديهم من سلاح غيره. وعلى المرء أن يكون مرغما على انتزاع حقه، وإلا فإنه لن يلجأ إلى استعماله. لذلك كان اليهود جدليين؛ وكذلك كان «راينكه فوكس»(١٨): ماذا؟ وسقراط، هل كان كذلك أيضا؟

٧

هل كانت سخرية سقراط تعبيرا عن التمرد؟ عن ضغينة رعاع؟ هل كان يلتذ، كمضطهَد، بشراسته من خلال طعنات سكين المنطق الصوري؟ إن الجدلي يحمل في يده سلاحا لا يرحم، بإمكان المرء أن يجعل من نفسه مستبدا بواسطته؛ إنه يعرّي ويهين بانتصاره. الجدلي يدع لخصمه مهمة البرهنة على أنه

= يكون المرء حاملا لاداة شنيعة في يده: الجدلي يقصي ويرفض فيما هو يجرد ذهن خصمه من كل سلاح؛ يخضعه إلى استجواب تفتيشي فيما هو يجعله عديم الحيلة؛ ويلقي عليه مهمة أن يثبت أنه ليس بأحمق... أف، ---

(١٨) Reinecke Fuchs حكاية شعبية وملحمة ساخرة من تأليف يوهان فولفغانغ غوته اقتباسا عن كتاب: Roman de Renart الفرنسي (المترجم)

ليس بغبي: إنه يثير الحنق وفي الآن ذاته يجعله يشعر بالعجز. الجدلي يمارس خصيا على الطاقة الذهنية لخصمه. -ماذا! هل الجدل مجرد شكل من الانتقام لدى سقراط؟

٨

كنت قد قدمت ما سيجعل المرء يفهم ما الذي يجعل سقراط منفّرا؛ لكن مازالت أمامنا مهمة أن نبيّن *كيف* كان يثير الإعجاب. أن يكون قد اكتشف ضربا جديدا من *القتال*، وأنه كان المقاتل البارع الأول في هذا المجال في أعين الأوساط الراقية بأثينا، ذلك هو أول الأسباب. كان سقراط يثير الإعجاب بدغدغته للغرائز القتالية للهللينيين؛ لقد أدخل تنويعا جديدا إلى حلبة الصراع بين الشبان من الرجال والغلمان. لقد كان سقراط إيروتيقيا كبيرا أيضا.

٩

غير أن سقراط قد حزر أكثر من ذلك. لقد اخترق دواخل نبلائه الأثينيين، وقد أدرك أن حالته، حساسيته الخصوصية المفرطة لم تعد حالة شاذة. كانت نفس حالة الانحلال تستعد للانتشار خفية: أثينا العريقة ماضية نحو الاضمحلال. وقد أدرك سقراط أن الجميع كانوا في حاجة إليه؛ إلى دوائه، وإلى علاجه، وإلى فنه الخاص في الحفاظ على النفس... كانت الغرائز في حالة من الفوضى في كل مكان، وفي كل مكان كان الناس قاب قوسين أو أدنى من الشطط الخليع: وكانت الفظاعةُ الروحية

(monstrum in animo) الخطرَ المحيط بالجميع. «الغرائز تريد فرض استبدادها؛ وعلى المرء أن يبتكر *طاغية معاكسا* أقوى». . .
وعندما كشف ذلك الخبير الفزيزنومي ذي الفراسة عن الوجه الحقيقي لسقراط كبؤرة لكل الغرائز والشهوات السيئة، ألقى الساخر الكبير بعبارة أخرى كانت مفتاحا لاستجلاء حقيقته: «هذا صحيح، قال سقراط، لكنني أصبحت سيدا على الجميع.»[١٩]
كيف أصبح سقراط سيدا على *نفسه*؟ -لم تكن حالته في الحقيقة سوى الحالة القصوى، تلك التي تبدو واضحة للعيان من ضمن ما بدأ يغدو حالة أسى جماعي: ما من أحد ما يزال سيدا على نفسه بعد، والغرائز في حالة من الفوضى تجعلها متضاربة في ما بينها. كان يثير الإعجاب كحالة قصوى (لهذا الانحلال)؛ قبحه المثير للفزع ينطق بحالته لكل العيون: كان يثير الإعجاب بصفة أقوى، كما هو بديهي، كجواب، كحل، وكمظهر مرئي *لعلاج* هذه الحالة.

١٠

عندما يكون المرء مضطرا لأن يجعل من *العقل* طاغية، كما فعل ذلك سقراط، فإن الخطر لن يكون هينا أن يتحول شيء آخر أيضا إلى طاغية. لقد تم اعتبار المنحى العقلي آنذاك *منقذا*، ولم يكن لا لسقراط ولا لـ«مرضاه» خيار في أن يكونوا *عقليين*؛ كان ذلك أمرا محتّما، وكان ذلك وسيلة علاجهم الأخيرة. إن

(١٩) شيشرون؛ توسوكولانا. IV, 37

التعصب الذي رافق ارتماء التفكير اليوناني برمته في المنحى العقلي يفشي حالة أسى: الوضع على غاية من الخطر وليس هناك من خيار سوى: إما الهلاك، أو أن يكون المرء *عاقلا حد العبثية*... لقد كان المنحى الأخلاقي لدى فلاسفة اليونان منذ أفلاطون محدّدا بمرضهم، وكذلك الاعتبار الذي كانوا يقيمونه للجدل. عقل = فضيلة = سعادة تعني بكل بساطة: أن يحاكي الناس سقراط وأن تُقابل الرغبات الغامضة بصفة مستديمة *بإنارة* كاشفة: إنارة العقل. على المرء أن يكون في جميع الأحوال وبأي ثمن ذكيا، واضحا، خاضعا لإنارة كاشفة، وكل انسياق إلى الغرائز وإلى اللاوعي يجرّ إلى *السقوط*...

١١

لقد أوضحتُ العناصر التي تجعل سقراط يثير الإعجاب: كان يبدو بمثابة الطبيب والمنقذ. أمن الضروري أن نوضح أيضا الخطأ الذي يكمن وراء إيمانه بمسألة «العقل بأي ثمن»؟ إنها لمغالطة للذات من قبل الفلاسفة والأخلاقيين ذلك الاعتقاد بأنه بإمكانهم الخروج من وضع الانحطاط بإعلان الحرب على الانحطاط. فذلك أمر يتجاوز طاقتهم: ما اختاروه كعلاج، وكوسيلة إنقاذ ليس سوى تعبير هو أيضا عن الانحطاط. وهم لا يفعلون سوى تغيير الطريقة التي يعبر بها عن نفسه دون أن يزيلوه. لقد كان سقراط حالة سوء فهم، ومجمل *الأخلاق الإصلاحية، بما في ذلك المسيحية كانت حالات سوء فهم*... النور الساطع والعقل بأي ثمن، والحياة الواضحة وضوح

النهار، الباردة، الواعية، دون غرائز وفي تعارض مع الغرائز، لم تكن في حد ذاتها سوى حالة مرضية، مرضا آخر؛ وليست بالمرة عودة إلى «الفضيلة» وإلى «العافية»، وإلى السعادة... ضرورة مكافحة الغرائز، تلك هي القاعدة التي يتأسس عليها الانحطاط: طالما ظلت الحياة في حركة صعود فإن السعادة تساوي الغريزة.-

١٢

هل فهم ذلك هو نفسه، ذلك الأكثر فطنة من بين المغالطين لأنفسهم؟ هل قال ذلك لنفسه بالنهاية في حكمة شجاعته وهو يقبل على الموت؟... سقراط هو الذي *أراد* أن يموت، وليست أثينا؛ لقد تناول قدح السم، وأجبر أثينا على قدح السم... «سقراط ليس بطبيب، كان يقول لنفسه بصوت خفيض: الموت وحده هو الطبيب... أما سقراط، فلم يكن سوى مريض قد طال به المرض...»

«العقل» في الفلسفة[٢٠]

١

تسألونني عن كل مظاهر الحساسية المفرطة لدى الفلاسفة؟ . . . نقص الحس التاريخي لديهم، الكره الذي يكنونه لفكرة الصيرورة، ومنحاهم المصري. يعتقد الفلاسفة أنهم يضفون قيمة شرف على الأشياء عندما يجردونها من طابعها التاريخي؛ *sub speci aeterni* ، عندما يحولونها إلى مومياء. كل ما ظل الفلاسفة يعالجونه منذ آلاف السنين لم يكن سوى مومياء أفكار، وليس هناك من شيء حقيقي حي قد خرج من بين أيديهم. يقتلون ويحشون بالقش عندما يعبدون، هؤلاء السادة عبدة الأصنام الفكرية، -يغدون خطرا قاتلا على كل الأشياء عندما يعبدون. الموت والتحول والعمر، تماما كما الولادة والنمو تمثل كلها اعتراضات في أعينهم،- بل ونفيا أيضا. ما يكون، لن يصير؛ وما سيصير، لا يكون. . . والآن يؤمنون

(٢٠) تردد نيتشه بين عناوين مختلفة لهذا المقطع: «الفلسفة كحساسية مرضية مفرطة» (Mp XVI 4) و«العالم الحقيقي وعالم الظواهر» (W II 5,72)

جميعهم بالكائن، وليس دون هلع أيضا. وبما أنهم لا يستطيعون إدراكه، فإنهم ينطلقون في البحث عن أسباب تجعله ممتنعا عليهم. «لا بد أن هناك ظاهرا ومغالطة ما في الأمر تجعلنا لا ندرك الكائن؛ أين يوجد الماكر المغالِط؟» -لقد ضبطناه، يصرخ هؤلاء فرحين، إنها الحواس! تلك الحواس، وهي *المنافية للأخلاق علاوة على ذلك*، تخدعنا بشأن العالم *الحقيقي*. الأخلاق: أن نتخلص من وهم الحواس، من الصيرورة ومن التاريخ ومن الكذب؛- والتاريخ ليس شيئا آخر غير الاعتقاد في مصداقية الحواس، اعتقاد في الكذب. الأخلاق: أن نقول لا لكل ما يقر بمصداقية للحواس، ولمجمل بقية الإنسانية: فذلك كله «شعب». أن يكون الواحد فيلسوفا يعني أن يكون مومياء، وأن يجسد توحيده الرتيب(*) بحركات حفار قبور! -وإليك عنا بهذا *الجسد* خاصة، هذا الهوس (*idee fixe*(**)) البائس بالحواس! الجسد المصاب بكل ما يمكن أن يوجد من الأخطاء المنطقية، مدحوضا، وغير ممكن الوجود أصلا، بالرغم من أن لديه ما يكفي من الوقاحة كي يفتعل مظهر شيء حقيقي!...»

(*) يستعمل نيتشه هنا عبارة "Monotono-Theismus" المصاغة من تركيبة تجمع بين كلمتي monotone (رتيب) و Theismus (الإقرار بوجود الله)، وذلك عوضا عن عبارة Monotheismus التي تعني التوحيد، أو الديانة التوحيدية.

(**) بالفرنسية في النص الأصلي.

٢

سأستثني وبعميق الاحترام، إسم *هيراقليطس*. فبينما رفض بقية شعب الفلاسفة الحواس لكونها تُظهر التعدد والتبدّل، يرفضها هيراقليطس لكونها تُظهر الأشياء كما لو كانت تنطوي على ديمومة ووحدة. هيراقليطس قد أخطأ هو الآخر في حق الحواس. فهذه الأخيرة لا تكذب، لا على النحو الذي اعتقده الإيليون[٢١]، ولا على نحو ما اعتقده هو-إنها لا تكذب البتة. بل إن ما *نفعله* بشهادتها هو ما يدس الكذب في داخلها، مثل أكذوبة الوحدة على سبيل المثال، وأكذوبة الشيئية والجوهر والديمومة[٢٢]... إن «العقل» هو السبب الذي يجعلنا نزيّف شهادة الحواس. وطالما ظلت الحواس تُظهر الصيرورة والاضمحلال والتبدّل، فإنها لا تكذب... لكن هيراقليطس سيظل محقا إلى الأبد في مقولته التي تعلن أن الكائن مجرد متخيّل أجوف. إن العالم «الظاهري» هو العالم الوحيد؛ و«العالم الحقيقي» لا يعدو كونه *أكذوبة مختلقة*.

---

(٢١) الإيليون: ممثلوا المدرسة الفلسفية التي أسسها كسينوفون، ثم انتمى إليها إلى جانبه كل من برمينيدس وزينون الإيلي. من القائلين بخطأ الحواس. ينفون الوجود الواقعي لكل حركة وكل تبدل وتعدد، ويرون فيها مجرد خدع . كان لهم أثر على نشوء السفسطائية وتطور المنطق.(المترجم)

(٢٢) بعدها جملة مشطوبة: «وفي هذا المضمار تجدنا نفكر اليوم تماما كتلامذة لهيراقليطس.»

٣

وأية أدوات ملاحظة غاية في الرهافة لدينا في حواسنا! هذا الأنف على سبيل المثال، ذلك الذي لم يخصه أي فيلسوف إلى حد الآن بما يستحق من عبارات الإكبار والامتنان، لهو إلى حد الآن الأداة الأكثر رهافة مما بحوزتنا من الأدوات التي في خدمتنا: إن بوسعه أن يسجل أدق الاختلافات في الحركة مما لا تقدر على تسجيله حتى آلة «سبيكتروسكوب». واليوم، بحوزتنا من العلوم بمقدار مناسب تماما لما قررنا أن نضع من ثقة في شهادة هذه الحواس، و بما أدخلنا عليها من شحذ وتجهيز بالمعدات ومن تعليمها المضي بتفكيرها حتى النهاية. أما ماعدا ذلك فطِرْح مواليد وأشياء مما ليس بعلم بعد: أعني ميتافيزيقا، وألوهيات، وعلم نفس، ونظريات معرفة؛ أو علوما شكلية ونظريات سيميائية، مثل المنطق، أو ذلك المنطق التطبيقي الذي يتمثل في الرياضيات. داخل هذه الفروع ليس هناك من أثر للواقع البتة، حتى كمشكلة، وأقل من ذلك السؤال عن مدى القيمة التي ينطوي عليها عموما نظام علامات متواضَع عليه من هذا النوع، كما هو الشأن بالنسبة للمنطق.

٤

الحساسية المرَضية الأخرى للفلاسفة ليست أقل خطرا هي أيضا، وتتمثل في الخلط بين الآخِر والأول. يضعون في البداية، وكبداية ما يأتي في الآخر–و ماكان له أن يأتي، للأسف!– وهي «المفاهيم الأرقى»، يعني المفاهيم الأكثر عمومية وخواء، الدخان

الأخير للواقع المتبخّر[٢٣]. مرة أخرى، إنها فقط طريقتهم في الإجلال: ماهو رفيع المقام لا يحق له أن ينمو من الأسفل، بل لا يحق له أن يكون قد عرف النمو أصلا... وعبرة القول: كل ما هو من منزلة أرقى لا بد ان يكون علة في ذاته- *causa sui*، والصدور عن مصدر آخر يعد في حد ذاته عيبا وموجبا لوضع القيمة موضع الشك. كل القيم العليا لا بد أن تكون من منزلة أرقى، وكل المفاهيم الأرقى، الكائن، والمطلق، والخير، والحق، والكامل، -هذا الكل لا يمكن أن يكون حاصل صيرورة، ولا بد له إذًا أن يكون علة في ذاته. لكن هذا الكل لا ينبغي له أن يكون متفاوتا، ولا ينبغي له أن يكون في تناقض مع بعضه البعض... من هنا ابتدعوا لأنفسهم ذلك المفهوم المذهل: «الله»... وسيوضع ذلك الأخير، والأكثر ضحالة، والأكثر خواء، موضع الأول، كعلة لذاته، وكـ (*ens realissimum*)- واجب الوجود ... والغريب أنه كان على الإنسانية أن تأخذ بجدية هؤلاء المصابين عقليا من نساجي الشباك العنكبوتية!- وقد دفعت ثمن ذلك غاليا علاوة على ذلك!...

٥

لنأت أخيرا إلى الكيفية التي ننظر بها نحن بالمقابل (وأقول نحن من باب الأدب ليس إلا..) إلى مسألة الخطأ والوجود الظاهري. في ما مضى كان يُنظر إلى مسائل التبدل والتحول

---

(٢٣) الصيغة الأولية كما في (Mp XVI 4): «لا أدري أي نوع من المفاهيم المائهة البخارية العقيمة والمعيقة، كمفهوم الـ«خير» ومفهوم الـ«حقيقي».

والصيرورة عامة على أنها دليل على ظاهرية الوجود، وعلامة على أنه لا بد أنّ هناك شيئا يقودنا إلى الخطأ. واليوم فإننا، على العكس من ذلك، نستطيع أن نرى أبعد ما يمكن، إلى الحد الذي تجبرنا فيه المسبقات العقلية على إقرار مسائل الوحدة والهوية والديمومة والجوهر والعلة والشيء بذاته، والكائن، وتُورِّطنا بشكل ما في الخطأ؛ *تضطرنا* إلى الخطأ، بالرغم مما نكون عليه في داخلنا من يقين صادر عن مراجعات صارمة، بأن الخطأ يكمن هنا بالتحديد. إنه الأمر ذاته الذي يحدث مع مسألة حركة الكواكب: هناك تكون عيننا، وهنا لغتنا، هي التي ستتولى مهمة المدافع الدائم عن هذا الخطأ. تنتمي اللغة من حيث منشؤها إلى زمن الأشكال البسيكولوجية الأكثر بدائية: سنجد أنفسنا نلج منطقة فيتيشيّ بدائية إذا ما وضعنا تحت مجهر الوعي الشروط الأولية لميتافيزيقا اللغة، أو بعبارة أوضح *العقل*. فيتيشيّة ترى فاعلين وأفعالا في كل مكان؛ وتعتقد في إرادةٍ تلعب دور العلة عموما، وتؤمن بـ«ذات»(٢٤)، بذات ككائن، بذات كجوهر،

---

(٢٤) ابتداء من هذا الموقع وحتى آخر الفقرة، نجد صيغة أولية (W II 5,68)، حورها نيتشه في ما بعد، . وقد وردت هذه الفقرة في تلك الصيغة: «تؤمن بـ«ذات»، بذات كائن، بذات جوهر وتسحب طابع الوجود الظاهري للذات على كل ما تبقى من الأشياء، مكرسة في كل موقع كائنا، منصّبة ذلك الكائن كعلة. وإذا ما كان أولئك الحكماء القدامى من أمثال الإيليّين يتمتعون بقدرة فائقة على الإقناع نجحت في فرض سلطتها على الجميع بما في ذلك على الفزيائيين الماديين (فقد أخضع ديموقريطس نفسَه إلى الفكرة الإيلياتية الثابتة عن الكينونة عندما ابتدع ذرته)، فإننا لا نريد أن ننسى أيضا أي شيء كان يقف إلى جانبهم في ذلك: الغريزة =

وتعكس الاعتقاد في الذات الجوهر على كل الأشياء؛ وعندها فقط تبتدع مفهوم «الشيء»... وفي كل موضع، وداخل الأشياء كلها سيتم ابتداع الكائن *وإقحامه* فيها كعلة؛ من صلب مفهوم «الذات» سينشأ تبعا لذلك، كاشتقاق، مفهوم «الكائن»... في البدء كان ذلك الخطأ المشؤوم الذي يرى أن الإرادة شيء *فاعل*- أن الإرادة مَلكة... واليوم نعرف أنها مجرد عبارة جوفاء... بعدها بزمن طويل، وفي عالم يُعَدّ أكثر استنارة بألف مرة برز *الوثوق*، ذاك *اليقين* الذاتي، بصفة مفاجئة داخل وعي الفلاسفة لدى معالجتهم للمقولات العقلية؛ فانتهوا إلى نتيجة مفادها أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تكون صادرة عن المعرفة الخُبرية؛ ذلك أن مجمل الخُبريّة في رأيهم تقف موقف النقيض منها. *من أين يكون مأتاها إذن*؟ ثم إن الخطأ نفسه قد تم ارتكابه في الهند كما في اليونان: «لا بد أن نكون قد وُجدنا في عالم أرقى في حياة سابقة (عوض أن يقولوا: في *عالم أحطّ* بكثير، وهو ما ينبغي أن يكون موافقا للحقيقة!)، لا بد أننا كنا من منزلة إلهية، *ذلك أننا* نمتلك عقلا!»... وبالفعل، لم يوجد إلى حد الآن من شيء

= الكامنة في اللغة، أو العقل المزعوم. وهذا الأخير يؤمن بوجود عالم كائن لا يمكن البرهنة على مقولاته ضمن عالم مطلق الصيرورة...- ونحن نجد أنفسنا اليوم بالفعل نعاني من صعوبة عدم حيازتنا على صيغة مناسبة لمفاهيمنا، مضطرين إلى إقحام المقولات القديمة في كل موضع: هكذا ترانا نواصل استعمال عبارة «علة» بينما نحن قد أفرغناها من محتواها- وأخشى أن تظل صياغاتنا تستعمل العبارة القديمة ضمن مدلول تعسفيّ كليا.

يمكن أن يتجاوز في قدراته الإقناعية الساذجة الخطأَ القائل بوجود الكائن، كما صاغه الإيليّون على سبيل المثال؛ فإليه تعود كل كلمة وكل جملة مما نطق به! وحتى مناهضي الإيليين أنفسهم قد أسلموا أنفسهم، هم أيضا، لغواية مفهومهم عن الكائن: ديموقريطس مثلا لدى ابتداعه لذرّته... «العقل» داخل اللغة: أيّ عجوز مخادعة! وإنني لأخشى أننا لن نتخلص من الربّ، لأننا ما زلنا نؤمن بالنحو...

٦

سيُعترف لي بالجميل إذا ما اختزلت في أربع أطروحات فكرة على غاية من الجدة وعلى غاية من الأهمية: سأسهل بذلك الفهم، وسأستفز المناقضة.

الأطروحة الأولى. إن الحجج التي تُعتمد لنعت «هذا» العالم بالظاهري، تبرهن بالأحرى على واقعيته؛ إن وجود نوع آخر من الواقعية غير قابل للإثبات مطلقا.

الأطروحة الثانية. إن العلامات المميزة التي مُنحت لـ«الوجود الحقيقي» للأشياء إنما هي العلامات المميزة لعدم الوجود، لـ *العدم*؛ لقد تم تأسيس مفهوم «العالم الحقيقي» من صلب التناقض مع العالم الواقعي: عالم وهمي في الحقيقة بما هو مجرد خدعة بصرية *أخلاقية*.

الأطروحة الثالثة. تأليف خرافات عن عالم «آخر» غير هذا الذي لدينا أمر لا معنى له البتة، عدا أن تكون غرائز الثلب

والتحقير والتشكيك في الحياة متمكّنة في دواخلنا: أن ننتقم بالنهاية من الحياة ببدعة متخيَّلة لحياة «أخرى»، حياة «أفضل».

الأطروحة الرابعة. إن تقسيم العالم إلى عالم «حقيقي» وعالم «ظواهر»، سواء على طريقة المسيحية، أو على طريقة كانط (مسيحي ماكر بالنهاية)، ليس سوى فكرة من وحي الانحطاط؛ عرض عن حياة في *طور الانحدار*... أما أن يولي الفنان الظواهرَ اعتبارا أكبر من الواقع، فذلك ليس باعتراض على هذه الأطروحة. ذلك أن الظاهر يعني هنا، مرة *أخرى*، الواقع مستحضرا في شكل انتقاء وتفخيم وتعديل، ليس إلا... فالفنان التراجيدي ليس بمتشائم؛ بل إنه يقول نعم لكل شيء بما في ذلك ما هو إشكالي وفظيع. إنه ديونيزي...

كيف تحول «العالم الحقيقي» بالنهاية إلى خرافة
ـ تاريخ خطأ ـ

١- العالم الحقيقي كشيء يمكن أن يدركه الحكيم، المتدين، صاحب الفضيلة، -إنه يحيا داخله، *إنه* هو.

(الشكل الأرقى للفكرة. ذكية نسبيا، بسيطة، مقْنعة. المبدأ مصاغا بطريقة أخرى: «أنا، أفلاطون، *أنا* الحق.»)(٢٥)

٢- العالم الحقيقي لا يُدرك الآن، لكنه موعود للحكيم، المتدين، صاحب الفضيلة («للخاطئ الذي كفّر عن خطيئته»).

تطور الفكرة: تصير أكثر رهافة، أكثر مراوغة، أكثر استعصاء على الإدراك؛ تصير *أنثى*؛ تصير مسيحية...)

٣- العالم الحقيقي، لا يدركه أحد، غير قابل للتبيان، لا يوعد به أحد، لكنه، حتى كمتخيّل، سلوان وفرض وواجب.

---

(٢٥) (W II 5,64): «عاقلة، بسيطة، واقعية، استنساخ من وجهة نظر سبينوزية للمقولة القديمة؛ «أنا سبينوزا... أنا الحق.»

(الشمس القديمة ذاتها، لكن من وراء الضباب والريبية: الفكرة وقد غدت شاحبة، شمالية، كونيغسبيرغية.[٢٦])

٤- العالم الحقيقي؛ عالم لا يدرك؟ لم يدركه أحد على أية حال. وكعالم لم يدركه أحد، فهو مجهول أيضا. وبالتالي لا هو بسلوان ولا بمخلّص أو ملزِم: بأي شيء يمكن لشيء مجهول أن يلزمنا.

(صباح قاتم. التثاؤب الأول للعقل. صياح ديك الوضعية.)

٥- العالم الحقيقي؛ فكرة لم تعد صالحة لشيء، وليست حتى بملزِمة،- شيء مهمل، فكرة غدت فائضة عن اللزوم، وبالتالي، فكرة مدحوضة: لنلْغها إذن!

(نهار مضيء؛ فطور؛ عودة الرشد والمرح؛ أفلاطون محمرّ خجلا، جلبة جنونية تهز كل العقول الحرة.)

---

(٢٦) نسبة إلى مدينة كونيغسبيرغ الشمالية، موطن كانط؛- أي فكرة قديمة يستعيدها كانط. (المترجم)

ترد الفقرة في صيغة أولى من المسودات (W II 5, 64-65): «العالم الحقيقي؛ ما لا يدرك الآن، وربما لا يمكن حتى أن يكون موعودا، لكنه سلوان مع ذلك كشيء نومن به، وراحة، وخلاص (الفكرة وقد غدت مقدسة، شبحية، نور أبي الهول القادم من أعماق الماضي، منتصف ليل لماورائيين وسكان الأصقاع القطبية النائية، لكنها موضوع إجلال وأمل من الدرجة الأرقى.»

٦- لقد ألغينا العالم الحقيقي؛ أي عالم سيظل هناك؟ ربما العالم الظاهري؟... كلا! *فمع العالم الحقيقي قد ألغينا أيضا عالم الظواهر!*

(ظهيرة: لحظة الظل الأقصر؛ نهاية أطول خطأ؛ أعلى أعالي الإنسانية؛ .INCIPIT ZARATHUSTRA)[٢٧]

(٢٧) صيغة أولى في W II 5,64 : INCIPIT PHILOSOPHIA (هنا تبدأ الفلسفة) عوضا عن INCIPIT ZARATHUSTRA (هنا يبدأ زرادشت).

الأخلاق كشيء مناقض للطبيعة(٢٨)

١

لكل الأهواء زمن تكون فيه هلاكا خالصا، عندما تعمل بواسطة ثقل حماقتها على سحب ضحاياها إلى الغرق، ووقت آخر لاحق، متأخر جدا تقترن فيه بالعقل، و«تتعقلن». في ما

---

(٢٨) يتكون هذا الفصل من جزئين، الثاني منهما (الفقرات ٤ و٥ و٦) هو الذي جاءت صياغته في البداية، كما يرد في دفتر W II 5,47-49 ، تحت عنوان *«الأخلاق كنموذج للانحطاط»*. وترد الفقرات ١ و٢ و٣ (الجزء الأول) بعدها في دفتر W II 6, 43-44. وقد حرر نستشة هذا الجزء تحت عنوان *«شوبنهاور والحسية»*. تم دمج الجزئين في فصل موحد في أغسطس ١٨٨٨ ضمن نص نهائي بعد التخلي عن مشروع كتاب «إرادة القوة» الذي نشأ عنه كل من «غسق الأوثان» و«نقيض المسيح».
هنا الصيغة الأولى للفقرات ١ و ٢ و٣ الحالية (أو الفقرات ٤ و٥ و٦ كما ترد في دفتر W II 6,43-44):
«يبدو لي الانتصار على الحماقة المخالطة للهوى أكبر انتصار تم تحقيقه إلى حد الآن: يعني التحكم في الهوى، لكن مع حقنه بخميرة العقل والرهافة والتحفظ كي تتحول إلى من متعة من متع *الوجود*. في ما مضى، وبسبب الحماقة التي في الهوى وما ينجر عنها من عواقب وخيمة قد تمت محاربة الهوى نفسه بهدف إبادته، وهو ما كان حماقة أخرى لا غير. وقد =

= جاءت أشهر صيغة لذلك بالإنجيل في موعظة الجبل الشهيرة، تلك الموعظة التي لم تكن معاينة للأشياء من موقع السمو.

يبدو واضحا أن مسألة عقلنة الهوى لم تكن أمرا مطروحا حتى كمجرد تصور بالنسبة لأولئك الشاندالا: وعبارة «عقل» نفسها لم تكن في كتاب العهد الجديد أكثر من مجرد حالة سوء فهم. فقد كانوا يكافحون بكل ما أوتوا من قوة ضد العقول «الذكية»؛ فهل يمكن أن ننتظر منهم حربا ذكية على الهوى؟... لذلك فإن الصراع الذي تخوضه الكنيسة ضد الهوى لا يعدو كونه بترا وخصيا... فالفكرة التي تشغل ذهن التربية الكنسية تظل تدور على الدوام حول هذه النقطة: كيف تتم إبادة الشهوات، والكبرياء، والنزوع إلى السيادة، و حب الكسب؟...

واضح أيضا أن إقرار الحيز والبتر إجراء يلجأ إليه أولئك الذين لا ينلكون من قوة الإرادة ما يكفي للتحلي بالاعتدال: الطبائع التي تحتاج إلى باب قلاّب، إلى إعلان عداء قاطع لا تراجع فيه للهوى... حالات تعبر عن نموذج معتاد من الانحلال. حالة معهودة لدى من يسمون بالمتشائمين: حالة شوبنهاور مثلا في علاقته بالجنس. إن عجزا شخصيا متكررا ومعترفا به في فرض السيطرة على النفس، يتحول بالنهاية إلى ضغينة ضد كل من يغدو مسيطرا. - إنه أمر مفهوم، وإن لم يغد بعد كذلك في المجال الفلسفي... ويبلغ الحقد ذروته عندما تعوز هؤلاء قوة الإرادة الضرورية للتخلص من «شيطانهم» الخاص: إن العداوة الأكثر شراسة ضد الحواس على مدى تاريخ الفلسفة (والفن) لم تأت على ألسنة العاجزين جنسيا، ولا على ألسنة الزهاد، بل عن غير القادرين على الزهد، أولئك الذين يفترض أن يكونوا أكثر حاجة إلى الزهد... لم يكن أغسطينوس المسيحي أكثر من [انتقام من شيطانه المهزوم] الانتصار المنفلت من كل قيد لانتقام زاهد فاشل إلى حد ما... إن عقلنة العداوة تتمثل في أن ندرك بعمق قيمة أن يكون للمرء أعداء؛ أو بعبارة أخرى أن يعمل المرء ويستنتج في الاتجاه المعاكس لما كان يفعل الناس ويستنتجون في الماضي لمّا كانت العداوة سخيفة؛ كان المرء في ما مضى يريد إبادة عدوه؛ أما اليوم فللمرء مصلحة في بقاء عدوه؛ هناك كائنات، مثل الرايش الألماني الجديد (الرايش الثاني-المترجم-)، لا يمكنها أن تتراءى لنفسها ضرورية الوجود إلا عن =

مضى، وبسبب الحماقة التي في الهوى، قد تمت محاربة الهوى نفسه: كان هناك تواطؤ يضمر إبادته؛ فقد كان كل الأخلاقانيين القدامى متحدين على مقولة (*)*"Il faut tuer les passions"* - «يجب قتل الأهواء»- وقد جاءت أشهر صيغة لذلك بالإنجيل في خطبة الجبل، تلك الخطبة التي، لنقلها عرضا لم تكن معاينة للأشياء من موقع السمو. لقد قيل في تلك الخطبة مثلا، ضمن تحديد سلوكي بشأن الجنس: «إذا ما كانت عينك هي التي ستوقعك، فاقتلعها»، (٢٩) ولحسن الحظ أن لا أحد من المسيحيين قد طبق هذا الأمر. إن إبادة الأهواء والشهوات، فقط بسبب ما يخالطها من حماقة، ووقاية مما يمكن أن ينشأ عن حماقتها من تبعات كريهة، هو ما يبدو لنا اليوم شكلا حادا من الحماقة. ونحن لم نعد نعجب بأطباء الأسنان الذين يقتلعون

= طريق حقد أعمى، وذلك كي يتسنى نسيان الطابع المصطنع لنشأتها. والأمر نفسه ينطبق على الصراع الداخلي: من يعمد بكل بساطة إلى تحييد النفس (تجويعها، شطبها، إلغائها) ثمنا لـ«سلام الروح» سيكون من صنف «العهد البالي»، ولا يكون مدركا لمصلحته العليا. كل الطبائع القوية تعرف أنها تحمل تناقضات في داخلها، وأن خصوبتها وثراءها الذي لا ينضب تتعلق بالصراع الأبدي الذي يقصى من أجله «سلام الروح» الشهير. وهذا ينطبق على رجال الدولة كما على الفنانين... إن المرء يقدم حجة على انحطاطه عندما يبجل سلام الروح ويجعله في مستوى أرقى من الصراع، ومن الحياة، ومن الخصوبة. أو بعبارة أخرى: بسبب شعور بالعقم، يختار المرء السلام...

(*) بالفرنسية في الأصل

(٢٩) إنجيل متّى؛ ٥: ٢٩ «فإن كانت عينك اليمنى تُعثرك فاقلعها وألقها عنك. لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنّم.»

الضرس كي تنتهي أوجاع الضرس. . . هناك اعتراف من جهة أخرى، لا يخلو من شيء من الحقيقة، بأن الأرضية التي نشأت فوقها المسيحية لم يكن من شأنها أن تجعل نشأة فكرة «*عقلنة الأهواء*» ممكنة. فالكنيسة الأولى، كما هو معروف، كانت تكافح ضد «الأذكياء» لصالح «فقراء العقل»[٣٠]؛ كيف يمكن إذن أن يُنتظر منها أن تشن حربا ذكية ضد الأهواء؟ كانت الكنيسة تحارب الهوى بطريقة البتر بكل ما للعبارة من معان: ممارستها في ذلك و«علاجها» هو *الإخصاء*. أبدا لم تكن لتتساءل: كيف يمكن أن نعقلن ونهذّب شهوة ونرتقي بها إلى منزلة القداسة؟ - وعلى مر العصور والأزمنة كانت تركّز نظامها التأديبي على الاستئصال (ممارَسا على الحسيّة، وعلى الكبرياء، وعلى النزوع إلى السيطرة، وعلى رغبة الملكية ورغبة الانتقام). -لكن استئصال الأهواء، يعني استئصال الحياة: إن ممارسات الكنيسة *معادية للحياة*.

٢

هذه الوسائل نفسها من بتر واستئصال يتم استعمالها غريزيا في مكافحة الرغبة من طرف أولئك الذين بهم من ضعف الإرادة ومن الانحلال ما يجعلهم عاجزين على فرض ضوابط لتلك

---

(٣٠) متّى؛ ٥: ٢و٣ «ففتح فاهُ وعلمهم قائلا: طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات.»

الرغبة، أولئك الذين بحاجة إلى لاتراب[٣١]، كي نتكلم بالاستعارة (و من دون استعارة)[٣٢]، وإلى إعلان عداوة قاطع لا تراجع فيه، وهوة تفصل بينهم وبين الرغبة. إن الطرق الجذرية لا تكون ضرورية إلا بالنسبة للمنحلّين؛ فضعف الإرادة، أو، لكي نتكلم بصفة أدق، العجز عن عدم الاستجابة إلى مثير الإغراء هو في ذاته ليس شيئا آخر غير شكل من الانحلال. ولذلك فإن المعاداة القطعية، المعاداة القاتلة للرغبات الحسية تظل تمثل عرضا يدعو إلى التفكير: إنه لمن حقنا أن نخمن شتى الفرضيات بشأن الحالة العامة لمثل هذا النوع المشط. فمثل هذه العداوة، ومثل هذه الكراهية تبلغ ذروتها فقط عندما تغدو تلك الطبائع

---

(٣١) لاتراب La Trappe إسم دير لرهبان فرقة السسترنيين يوجد في سولينيي لاتراب بفرنسا في فرنسا . والفرقة التي تسمى بـ«الطريقة السسترنية للتقيد الصارم» تأسست في القرن السابع عشر وغدت تعرف بطريقة الترابستيين، نسبة لإسم المكان. غير أن للعبارة في اللغة الفرنسية معنى آخر أيضا وهو: الباب القلاّب.

(٣٢) ويبدو أن نيتشه يلمح هنا إلى شوبنهاور في تلك الحادثة التي يذكرها في كتاب «معاينات غير معاصرة» الجزء ٣ : شوبنهاور كمربي، الفقرة ٣، عندما كان شوبنهاور ينظر بأسى عميق إلى لوحة بورتريه دي رانسي أحد رهبان دير لاتراب ومؤسس فرقة الترابستيين شديدي التبتل، ثم حوّل نظره قائلا: «إنها مسألة رحمة». ويعلق نيتشه عن هذه الحادثة في سياق حديثه عن معاناة شوبنهاور كمفكر أصيل، صادق وشديد المعاناة: «ذلك أن العبقري ينزع بعمق إلى القداسة، لأنه قد استطاع من خلال معايناته أن يرى أبعد وبأكثر وضوح من أي شخص آخر داخل مصالحة المعرفة/ العرفان والوجود، وداخل مملكة السلام والإرادة المدحوضة، وفي ما وراء ذلك كله باتجاه الضفة الأخرى التي يتكلم عنها الهنود.»

مفتقرة إلى ما يكفي من الثبات حتى *لعلاج* جذري أو للتخلص من «شيطانها». لنستعرض مجمل تاريخ الكهان والفلاسفة، بما في ذلك تاريخ الفنانين وسنرى: إن أكبر المقولات السامة ضد الحسيّة لم تأت على ألسنة العاجزين جنسيا، ولا على ألسنة الزهاد، بل من قِبل الزهاد المستحيلين، أولئك الذين من المفترض أن يكونوا الأكثر حاجة إلى الزهد...

٣

عقلنة الرغبات الحسية تسمى *الحب*: إنها انتصار عظيم على المسيحية. وهناك انتصار آخر هو عقلنة *العداوة*. ويتمثل ذلك في أن ندرك عميقا القيمة الهامة في أن يكون للمرء أعداء: في كلمة واحدة، أن يعمل المرء ويستنتج بعكس ما كان يفعل ويستنتج من قبل. فقد كانت الكنيسة على مر العصور تريد إبادة أعدائها: أما نحن، نحن اللاأخلاقيون والمناهضون للمسيحية، فإننا نرى مصلحتنا في وجود الكنيسة... وفي المجال السياسي أيضا قد أصبحت العداوة اليوم أكثر تعقلا،- أكثر ذكاء، وأكثر تفكرا، وأكثر *رفقا*... كل حزب تقريبا غدا يدرك أن مصلحته الحيوية المتعلقة ببقائه تتمثل في أن لا تُستنفذ مجمل طاقات الحزب الخصم، والأمر نفسه ينطبق على السياسة الكبرى. فالقوة الجديدة، الإمبراطورية الجديدة على سبيل المثال، بحاجة أكثر إلى أعداء مما إلى أصدقاء؛ إذ بالنقيض فقط تشعر بنفسها ضرورية، وبالنقيض فقط تغدو ضرورية... ولا يختلف الأمر أيضا في تعاملنا مع «العدو الداخلي»: هنا أيضا قد عقلنّا

العداوة، وهنا أيضا أدركنا *قيمتها*. فالمرء لا يكون *ثريا* إلا بما ينبغي أن يكون له من ثراء في النقائض؛ والمرء لا يظل فتيا إلا بشرط ألاّ تخلد النفس إلى الراحة، و لا تطلب السلام... ما من شيء قد غدا أكثر غرابة لدينا من ذلك الأمر الذي كان يمثل أمنية الزمن الماضي، أمنية «سلام الروح»، الأمنية *المسيحية*؛ وما من شيء يعد أقل إثارة للحسد لدينا من البقرة الأخلاقية، ومن السعادة السمينة للضمائر الهنيئة. فالمرء يكون قد تخلى عن الحياة *العظيمة* بتخليه عن الحرب... صحيح أن «سلام الروح» في أغلب الأحيان مجرد سوء فهم؛ شيء *آخر* لا يعرف فقط كيف يسمي نفسه بطريقة أكثر صدقا. دون مداورة ولا أفكار مسبقة أعرض عليكم بعض الحالات: «سلام الروح» يمكن أن يعني الإشعاع الناعم لحيوانيّة ثرية داخل المجال الأخلاقي(أو الديني). أو بداية التعب، الظل الأول الذي يقذف به المساء، كل ضروب المساء. أو العلامة على أن الهواء قد غدا رطبا، وأن ريحا جنوبية قادمة. أو هو الامتنان اللاواعي لحالة هضم سعيد (تسمى من ضمن ما تسمى به «حب الإنسانية»). أو السكون الذي يعتري الناقِه الذي تغدو كل الأشياء ذات طعم متجدد لديه، والذي ينتظر... أو هو الحالة التي تتبع إرضاء صبوة عاتية، شعور هنيء ناجم عن شبع نادر. أو هو وهن الشيخوخة الذي يطرأ على إرادتنا، وعلى شهواتنا، وعلى رذيلتنا. أو الكسل الذي يزيّن له الغرور أن يتحلى بحلية أخلاقية. أو هو حلول يقين، حتى وإن كان يقينا شنيعا بعد طول توتر وعذاب من جراء اللايقين. أو تعبير عن النضج وبلوغ الإتقان في خضم الفعل

والابتكار والتأثير والإرادة؛ التنفس الهادئ، و«حرية الإرادة» التي تم *بلوغها*... وقد تكون غسق *الأوثان*: من يدري؟ أو لعلها أيضا نوع من «سلام الروح»، لا غير...

٤(٣٣)

أسوق الآن قاعدة لمبدأ. كل طبيعانية في الأخلاق، يعني كل أخلاق سليمة، تحكمها غريزة الحياة؛ -هناك فرض ما من الحياة يتم أداؤه بحسب قانون محدد قائم على موجِبيْ «ينبغي»

---

(٣٣) *الجزء الثاني من الفصل المشار إليه في الهامش ٣٢، والذي يتضمن ٤ فقرات رقّمها نيتشه في البداية بأرقام ١ و٢و٣ و٤، والتي تمثل الفقرات ٤ و٥ و٦ في النص الذي بين أيدينا:*
الأخلاق كنموذج للانحطاط. عندما تقرر مجموعة بشرية من منطلق شروط بقاء محددة وواضحة: «هكذا ينبغي على المرء أن يتصرف لدينا، وهذا ما لا ينبغي له أن يفعله»، فإنها بذلك تمنع وتأمر [تفرض]، أي أننا نصدر أوامر، ونمنع سلوكات محددة من منطلق غرائز المجموعة، وهكذا نمنع عن أنفسنا بموجب عقلي، لا طريقة بعينها في الوجود، ولا «رؤية» بعينها، بل منحى بعينه وممارسة بعينها لذلك «الوجود» ولتلك «الرؤية». لكن يأتي أديولوجيّ [الأخلاق] الفضيلة الأهوج، الواعظ الأخلاقي ويقول «إن الله يرى ما في القلوب!، فأية أهمية إن تتخلوا عن هذا العمل أو ذاك؛ إن ذلك لا يجعلكم أفضل!» الجواب: سيدي [الحمار] طويل الأذنين وذي الفضيلة، إننا لا نريد أن نصير أفضل؛ نحن راضون عن أنفسنا، ونحن لا نريد إلا أن لا نسبب أضرارا لبعضنا البعض، ولذلك نحن نمنع عن أنفسنا سلوكات بعينها بموجب احترام محدد، أي احترام تجاه أنفسنا، بينما سيكون لنا تجاه السلوكات نفسها موقف آخر إذا ما تعلق الأمر باستعمالها ضد أعداء للمجموعة-ضدكم أنتم مثلا- [سنجلها وندعمها ونعمل على نشرها عن طريق التربية والتعليم. أما إذا ما كنا على =

و«لا ينبغي»، بمقتضاه يتم إزاحة عائقٍ وعداوةٍ بعينهما من طريق الحياة. أما الأخلاق المنافية للطبيعة، أو تقريبا كل ما ظل يلقَّن ويحاط بالإكبار ويكرز له من أخلاق إلى حد الآن، فإنها تتجه بالعكس من ذلك إلى مناقضة الغرائز الحياتية بالذات؛ وهي *إدانة* لتلك الغرائز، سرية حينا، علنية ووقحة حينا آخر. وعندما تعلن: «إن الله يرى ما في القلوب»، فهي إنما تقول لا لرغبات الحياة، الخفية منها والبادية، وتقر بالله *عدوّا للحياة*... إن القديس الذي يحظى برضى الله في نظرها هو الخِصي النموذجي... تبعا لذلك فإن الحياة تنتهي حيث *يبدأ* «ملكوت الرب»...

٥

فرضا أننا توصلنا إلى إدراك الطابع التجديفي لمثل هذا الاعتراض على الحياة، الذي غدا بمثابة القداسة في الديانة المسيحية، فإننا سنكون ولحسن الحظ قد أدركنا أمرا آخر: الطابع اللامجدي والوهمي والعبثي *والكاذب* لمثل هذا

= تلك الراديكالية غير اللائقة التي تأمروننا بها، وانخرطنا في نشر رؤى (أيْ نوعَ وجود ومصير)، فإننا سنمضي إلى تدمير تملّكنا لقوتنا، وعوامل بقائنا، -هذه الرؤية بالذات، التي نوليها أسمى آيات التقدير... ولا نسعى إلا للاحتراس مما يخالطها من مظاهر الشطط والانحرافات، وحماية أنفسنا منها] ونحن لن نفيها حقها من التقدير مهما فعلنا.. نربي أطفالنا عليها، وبها نجعلهم كبارا (ملاحظة من المترجم: *محاولة للحفاظ على التلاعب اللفظي على عبارة «كبار» التي تفيد النمو و كذلك بلوغ العظمة، فضلنا استعمال عبارة «نجعلهم كبارا» عوضا عن «نرعى نشأتهم ونموهم» مثلا*)...

الاعتراض. فإدانة الحياة من طرف كائن حي ليست بالنهاية سوى عرَض لنوع معيّن من الحياة: أما السؤال عما إذا كان ذلك عن وجه حق أو عن غير حق، فيظل غير مطروح ضمن هذه الإدانة. على المرء أن يكون في موقع *خارج* الحياة، وأن يكون من جهة أخرى عارفا بها مثل واحد، أوعدد من الناس، أو جميع الناس الذين عاشوها، كي يحق له أصلا أن يتطرق إلى مسألة قيمة الحياة؛ وهذه أسباب كافية لجعلنا ندرك أن هذه مسألة مستحيلة علينا كليا. عندما نتكلم عن قيم فإننا نفعل ذلك من وحي الحياة ومن وجهة نظر الحياة: إن الحياة نفسها هي التي تجبرنا على وضع قيم؛ الحياة نفسها هي التي تقيّم من خلالنا عندما نضع قيما... تبعا لذلك تكون مثل تلك الأخلاق *المنافية للطبيعة*، تلك التي تضع الله كفكرة نقيضة وكإدانة للحياة، هي نفسها مجرد إدانة للحياة. -*أية حياة؟ وأي نوع* من الحياة؟ لكنني كنت قد أدليت بالجواب سابقا: إنها الحياة الماضية باتجاه الانحدار، الحياة المنهَكة، والمتعَبة والمحكوم عليها؟ الأخلاق كما تم فهمها إلى حد الآن؛ كما صاغها بالأخير شوبنهاور، كـ«نفي لإرادة الحياة»- هي غريزة الانحطاط بعينها، التي جعلت من نفسها مُلزِما: أخلاق تقول: «*إمض إلى حتفك!* »- إنها حكم المحكوم عليه...

٦

لننظر أخيرا أية سذاجة أن يقول المرء «هكذا أو هكذا ينبغي أن يكون الإنسان!» إن الواقع يطرح أمام أعيننا ثراء مدهشا في

الأنماط ووفرة في التنوع المُسرف للأشكال والأنواع، ثم يأتي أخلاقاني بائس وداعية زقاق ما ليقول أمام كل هذا: «لا، ينبغي أن يكون الإنسان *على غير هذا*»؟.. بل ويعرف أيضا كيف ينبغي عليه أن يكون، ذاك المنافق البائس! يرسم صورته على الجدار ويقول: "ecce homo" -«هذا هو الإنسان!»(٣٤)... لكن حتى إذا ما توجه الداعية الأخلاقي إلى الفرد فقط، وقال له: «هكذا أو هكذا ينبغي عليك أن تكون!» فإنه لا يكف عن جعل نفسه مضحكا. فالفرد، من أية جهة نظرنا إليه، هو جزء من قدر عام، قانون إضافي، وضرورة إضافية بالنسبة لكل ما سيأتي وما سيكون. أن نقول له «غيّر نفسك» يعني أن يتغيّر الكل، وإلى الخلف علاوة على ذلك... ولقد كان هناك بالفعل دعاة أخلاقيون متناغمون مع أنفسهم، أولئك الذين كانوا يريدون الإنسان على صفة مغايرة، أي إنسانا فاضلا؛ كانوا يريدونه وفقا لصورتهم، أي مرائيا: من أجل ذلك عمدوا إلى *نفي* العالم! جنون غير قليل هو هذا! وانعدام تواضع ليس بالمتواضع!... إن الأخلاق، طالما ظلت تحاكم وتدين، لغرض في ذاتها، وليس من وجهة نظر الحياة وبدافع احترام الحياة ومن منطلق ما تريده الحياة، هي خطأ خصوصي غير جدير بالشفقة إطلاقا، *حساسية خصوصية مستفحلة* قد سببت مضار لا تحصى!..

---

(٣٤) العبارة الشهيرة لبيلاطس (العهد الجديد- يوحنا؛ ١٩ : ٥)، يتخذها نيتشه عنوانا لقصيدة في كتاب «العلم المرح»، ثم من بعد عنوانا لكتابه الأخير- سيرته الذاتية. (المترجم)

أما نحن اللاأخلاقيون، فإننا على عكس ذلك، قد جعلنا قلوبنا تتسع لكل أنواع الفهم والإدراك *والقبول بالموافقة*. نحن لا ننفي بسهولة، ونرى شرفنا في أن نكون مستجيبين *بالإثبات*. وقد ظلت أعيننا تنفتح أكثر فأكثر على ذلك الاقتصاد الذي يحتاج ويضع قيد الاستعمال كل تلك الأشياء التي يلقي بها حمق القساوسة والعقل المريض الذي يسكن القساوسة، ذلك الاقتصاد النابع من قانون الحياة، والذي يجد منفعة له في كل شيء بما في ذلك النوع الكريه للمرائي والقس والصلحاء، -أيّ منفعة؟ - لكننا، نحن أنفسنا، نحن اللاأخلاقيون نجسّد الجواب. . .

الأخطاء الأربعة الكبرى

١

خطأ الخلط بين العلة والنتيجة. ليس هناك من خطأ أكثر خطرا من *أن نخلط بين العلة والنتيجة*: أسمي ذلك بالفساد الحقيقي للعقل. ومع ذلك فإن هذا الخطأ جزء من العادات القديمة والجديدة للإنسانية: بل إنه يحاط بالتقديس لدينا ويحمل إسم «دين» و «أخلاق». و*كل* مبدأ تتم صياغته من قِبل الدين والأخلاق يحمل هذا الخطأ؛ إن القساوسة والمشرعين الأخلاقيين هم مصدر هذا الفساد الذي أصاب العقل. أسوق مثالا عن ذلك: الكل يعرف مؤلَّف كورنارو(٣٥) الشهير الذي

---

(٣٥) لوندوفيكو كورنارو: *Discorsi della vita sobira (1556)* (١٥٥٦) - كيف تعيش حياة صحية طويلة . في الترجمة الألمانية: Die Kunst, ein hohes und gesundes Alter zu erreichen:
يعبر نيتشه مرة أحرى عن سخريته من هذا المؤلَّف في إحدى رسائله إلى صديقه فرانز أوفرباك(٣٠ مارس ١٨٨٤): «أتمسك بموقعي في نيس، إنها من وجهة نظر مناخية «أرضي الموعودة»، على أن يظل المرء حريصا على المواضبة على الأكل بطريقة جيدة، وليس بحسب نظام كورنارو» (م).

يقدم فيه نصحا بنظامه الغذائي الهزيل كوصفة لحياة طويلة سعيدة-وفاضلة أيضا-. لا يوجد سوى عدد محدود من الكتب قد عرف إقبالا من طرف القراء مثل الإقبال الذي عرفه هذا الكتاب، وإلى حد اليوم مازال يطبع بآلاف النسخ في إنكلترا. وأنا على يقين لا يداخله شك من أنه لا يوجد كتاب آخر (عدا الإنجيل بطبيعة الحال) قد أتى من المضار، وتسبب في *تقصير* الأعمار بالقدر الذي تسبب فيه هذا الكتاب العجيب ذي النوايا الطيبة. والسبب في ذلك هو الخلط بين العلة والنتيجة. لقد كان هذا الإيطالي الطيب يرى في نظامه الغذائي *السبب* في طول عمره، بينما كان الشرط الأول لحياة طويلة، والمتمثل في البطء الخارق لعملية الأيض والاستهلاك المحدود للمواد، هو السبب في نظامه الغذائي الهزيل في الحقيقة. لم يكن لصاحب هذا النظام الغذائي الحرية في أن يأكل كثيرا أو قليلا، و مستوى شهيته لم يكن صادرا عن «إرادة حرة»؛ فقد كان يصيبه المرض لمجرد أن يأكل كثيرا. لكنّ من ليس بسمكة الشبوط لا يفعل خيرا فقط بأن يتغذى بصفة جيدة، بل هو بحاجة مؤكدة إلى ذلك. وإن عالما من زمننا الحاضر، نظرا للوتيرة السريعة التي ينفق بها طاقاته العصبية، سيحكم على نفسه بالهلاك إذا ما تبع النظام الغذائي لكورنارو. *Credo experto*(*)- .

(*) بما معناه «إسأل مجربا»، أو «خذها مسلّمة من مجرّب»، ولعل في ذلك إشارة إلى تجربته الخاصة مع قلة الأكل وسوء التغذية في مرحلة ما من حياته، والتي تكلم عنها في كتاب «هذا هو الإنسان». (م)

٢

القاعدة العامة التي تقوم عليها كل ديانة وكل أخلاق تعبر عن نفسها كما يلي: «لا تفعل كذا وكذا، وافعل كذا وكذا وستكون سعيدا، وإلا . . .» كل أخلاق وكل ديانة تتمثل في هذا المُلزِم؛ ذلك هو ما أسميه بالخطيئة الأصلية الكبرى، *والحمق الأبدي*. لكن على لساني تتحول كل صيغة إلى نقيضها؛ وإليكم المثال الأول على عملية «قلب كل القيم» الخاصة بي: إن إنسانا ذا تركيبة سليمة، إنسانا «سعيدا» يعمد ضرورة إلى القيام بأشياء بعينها، وينفر غريزيا من أفعال أخرى؛ إنه ينقل النظام الذي يجسده فزيولوجيا إلى علاقاته مع الناس والأشياء. تعريف ذلك: فضيلته هي نتيجة لسعادته. . .إن حياة طويلة وذرية كثيرة *ليست* جزاء لفضيلته، بل إن الفضيلة نفسها هي تلك الوتيرة المتباطئة في التحويل الكيمياوي للمواد والتي ينتج عنها أيضا، من ضمن ما ينتج عنها، العمر المديد والنسل الوفير، وبكلمة واحدة ما يمكن أن نسميه *بـالمبدأ الكورناروي*.

الكنيسة والأخلاق تصرّح: «إن جنسا ما، أو شعبا ما يمضي إلى الهلاك بسبب الرذيلة والبذخ.» أما عقلي الذي *أعدت صياغته* فيقول: عندما يمضي شعب باتجاه الهلاك وينحل فزيزلوجيا ينجر عن ذلك البذخ والرذيلة (أي الحاجة المتزايدة إلى مثيرات أكثر قوة، كما يحدث لدى كل الطبائع المنهكة). وعندما تعتري هذا الفتى أو ذاك حالة من الشحوب والذبول، يقول أصدقاؤه: سبب ذلك هو هذا المرض أو ذاك. أما أنا فأقول: إن كونه قد أضحى

مريضا، وكونه لم يستطع مقاومة المرض فتلك ليست سوى نتيجة لحياة رثة وإنهاك وراثي. قارئ الصحف يقول: ذاك الحزب يجر نفسه إلى الهلاك بسبب هذا الخطأ أو ذاك. أما سياستي *الراقية* فتقول: إن حزبا يقوم بمثل هذا الخطأ لهو حزب منتهٍ مسبقا؛ حزب قد فقد غريزة تأمين الوجود. كل خطأ (في كل الأحوال) هو نتيجة انحلال غريزي وتدهور في الإرادة: نكاد نجد في هذا المبدأ ما يمكّننا من تعريف *للرديء*. كل ما هو حسن مأتاه الغريزة، وهو تبعا لذلك خفيف، ضروري، وحر. أما المُجهِد فاعتراض؛ والإله يختلف عن البطل من حيث النوعية (بلغتي أنا: الأقدام *الخفيفة* هي الصفة المميّزة الأولى للألوهية.[٣٦])

٣

خطأ سببية زائفة.[٣٧] كان لدينا على مر العصور اعتقاد بأننا نعرف أي شيء هي العلة؛ لكن من أين استقينا معرفتنا، أو بصفة أدق اعتقادنا بأننا نعرف؟ من مجال «الوقائع الداخلية» التي لم يقم الدليل على ثبوت أي منها إلى حد الآن. كنا نظن أنفسنا عنصرا

---

(٣٦) أنظر «قضية فاغنز»: «ما هو حسن خفيف، وكل ذي طابع قدسي يمضي على قدمين لطيفتين.»

(٣٧) نجد في دفاتر المسودات (MpXVI 4) أن نيتشه تردد بين عناوين مختلفة لهذه الفقرة جاءت على التوالي كالآتي: «نظرية العقل كعلّة»، «خطأ - [العلة الإرادية]- العلة العقلية، «سببية زائفة».

مسبِّبا داخل فعل الإرادة، وكنا نعتقد بأننا بذلك قد *قبضنا على السببية في حالة تلبّس*. ولم يكن ليخامر الناس شك في أن كل العناصر المهيئة لفعل ما لها مكانها في الوعي، وأنه بإمكاننا العثور عليها هناك -في شكل «دوافع»، إذا ما بحثنا عنها: وإلا لما كنا أحرارا، ولا مسؤولين عن ذلك الفعل. وأخيرا، من كان سيعن له أن يجادل في أن فكرةً ما لا بد أن تكون مسَبَّبة(بفتح)؟ وأن «الأنا» هي علة تلك الفكرة؟...

من بين هذه «الوقائع الداخلية» الثلاث التي يبدو أنها تضمن وجود السببية، تمثل *الإرادة كعلّة* أُولاها، والأكثر إقناعا من بينها. أما مفهوم الوعي («العقل») كعلة، ومن بعده مفهوم الأنا («الذات») كعلة فلم تبرز إلى الوجود إلا في ما بعد، أي بعد أن غدت السببية بموجب الإرادة ثابتة كمعطى، *كظاهرة أمبيريقية*...

إلا أننا تداركنا أنفسنا في الأثناء، ولم نعد نصدق اليوم كلمة واحدة من كل هذا. «العالم الداخلي» يتراءى لنا الآن مليئا أخيلة وأضواء خادعة، والإرادة واحدة منها. لم تعد الإرادة محرِّكة لأي فعل، ولا هي بالتالي بقادرة على تفسير أي شيء؛- إنها لا تفعل سوى مرافقة الأحداث، -كما يمكنها أيضا أن تكون غائبة. أما ما يسمى بـ«الدافع»، فذلك خطأ آخر؛ مجرد ظاهرة سطحية للوعي. شيء جانبي بالنسبة للفعل يحجب الأفعال المهيئة أكثر مما يجسدها. وحتى هذه الأنا! فإنها قد تحولت إلى خرافة، إلى أحبولة خيالية، إلى تلاعب بالألفاظ: لقد كفت الأنا عن التفكير وعن الإحساس والإرادة!... ما الذي ينجر عن ذلك؟ ليس

هناك من علّة عقلية البتة! وكل الأمبيريقية المزعومة المختلَقة لذلك الغرض قد ذهبت إلى الجحيم! **هذا** هو ما انجر عن ذلك! وكنا قد استخدمنا على وجه سيء ومشط هذه «الأمبيريقا»، فـ**ابتدعنا** العالم كعالم أسباب وكعالم إرادة، وكعالم عقول. وقد كان لأقدم صنف من البسيكولوجيا وأطولها عمرا يد في هذا كله، وهي لم تفعل شيئا آخر غير هذا: كل حدث كان في عينها فعلا، وكل فعل نتيجة لإرادة، وقد تحول العالم بكليته في نظرها إلى حشد متعدد من فاعلين، والفاعل («ذات») قد حمّل نفسه مسؤولية كل فعل. لقد عكس الإنسان من صلب ذاته و«قائعه الداخلية» الثلاث، التي كان يؤمن بها أرسخ الإيمان، وهي الإرادة، والعقل، والأنا: لقد اشتق أولا مفهوم الوجود من مفهوم الأنا، ثم وضع «الأشياء» كموجودات طبقا لصورته، طبقا لمفهومه عن الأنا كسبب. وأية غرابة أنه لم يعد يجد في الأشياء فيما بعد غير *ما كان قد وضعه داخلها*؟ **الشيء** نفسه، مفهوم الشيء مرة أخرى، كمجرد انعكاس للإيمان بالأنا كعلة... وحتى ذرّتكم، أيها السادة الميكانيكيون والفيزيائيون، كم من الخطأ، وكم من البسيكولوجيا البدائية ما تزال مترسبة داخل ذرتكم هذه! -كي لا نتكلم عن «الشيء في ذاته»، وعن الـ *horrendum pudentum* -عورة الميتافيزيقيين المقززة! عن خطأ العقل كعلة، الذي تم الخلط بينه وبين الواقع،[٣٨] متخذًا

---

(٣٨) الخلط بينه وبين الواقع/ منصبا كوجود/، وبين الوجود... حسب الصيغة الأولية الواردة في دفاتر Mp XVI 4

معيارا للواقع،[٣٩] مسمي *إلها*![٤٠]-

٤

خطأ العلل الوهمية. -لنأخذ الحلم كمنطلق: إحساس متأت مثلا عن طلقة مدفع في مكان بعيد سيجد نفسه لاحقا يعزى إلى علة بعينها(وغالبا ما يتحول الأمر إلى رواية صغيرة يكون الحالم بالذات هو بطلها). وفي الأثناء يواصل ذلك الإحساس تواجده في شكل صدى خلفي؛ وسيظل ينتظر ريثما تسمح له غريزة السببية بأن يتقدم إلى موقع الصدارة، لكن ليس كصدفة بدء من الآن، بل كـ«معنى». تظهر الطلقة النارية عندئذ في إطار علاقة سببية وضمن تسلسل زمني معكوس كما هو واضح. يتقدم العنصر الأخير في هذه السلسلة، والذي يتمثل في الدافع، إلى مرتبة الأول في إدراك الحالم، وغالبا بعدد كبير من الجزئيات التي تتتالى بسرعة البرق، ثم تأتي الطلقة... ما الذي حدث إذن؟ لقد غدت التصورات التي *ولّدتها* حالة نفسية بعينها تُتأول

---

(٣٩) متخَذا معيارا للواقع/ حَكَما على العالم ... (Mp XVI 4)

(٤٠) نجد في Mp XVI 4 و W II 6,105 الخلاصة التالية التي سيشطبها نيتشه في ما بعد: «لنُـلْغ فكرة «العلة» العقلية! إذ ليس هناك من علة من هذا النوع تعترضنا في حقل التجربة. فهل مازلت بحاجة بعد هذا إلى أن نقيم الدليل على كونها لم تعد تصلح لشيء؟ وأن العلم قد كف عمليا عن اعتمادها؟ لم يعد بين أيدينا منها غير الكلمة، لكنها خاوية، منتفخة؛ لكن دون محتواها القديم: لقد أصبحت تثير في ذهننا شيئا آخر مغايرا، مثل معادلات «العلة»-«النتيجة» -- و "*causa equat effectum*".

بموجب فهم خاطئ على أنها السبب نفسه[٤١]؛- وفي الحقيقة، نحن نفعل الأمر نفسه في اليقظة أيضا. فأحاسيسنا العامة (كل أنواع الكوابح والضغط والتوتر والانفجار داخل لعبة تفاعل الأعضاء وحركاتها المتعارضة، وكذلك حالة العصب الودي بصفة خاصة) تثيرغريزة السببية لدينا: نريد أن يكون لدينا سبب، وأن نجد أنفسنا على *هذه الحالة أو تلك*؛ أن نشعر بأنفسنا في حالة سيئة أو في حالة جيدة. ونحن لا نكتفي البتة بمجرد الإدراك بأننا على هذه الحالة أو تلك؛ ولا نقر بواقع الأمر هذا -لا نعيه- إلا بعد أن نكون قد منحناه نوعا من الدافع. كما أن الذاكرة التي تتدخل في مثل هذه الحالة دون علم منا، تستدعي إلى الحضور حالات سابقة من ذات النوع مع ما يتبعها من تأوّلات سببية -وليس أسبابها الحقيقية. وإن الاعتقاد بأن تلك التصورات وظاهرات الوعي المرافقة إنما هي ما كانت تمثل أسبابا هو ما سينتقل إلينا عبر الذاكرة أيضا. وهكذا ينشأ تعود على نوع من التأويل السببي يعيق في الحقيقة مسعى *البحث* عن السبب، بل ويقصيه أيضا.

---

(٤١) «. . .تُتأول بموجب فهم خاطئ على أنها السبب نفسه»، تأتي هنا عوضا عما يرد في (W II 7,38): «. . .لكن سيتم الإحساس بها في النهاية كأمر مفهوم، ومفسَّر-- : يقع إدماجها داخل علاقة سببية وتغدو لها بذلك صفة الأمر الذي لم يعد بحاجة إلى تفسير.»

٥

التفسير البسيكولوجي لهذا الأمر. إن رد أمر مجهول إلى أمر معلوم يدخل الراحة ويُطمئن ويُرضي، ويمنح علاوة على ذلك شعورا بالقوة. فالمجهول يمثل مصدرا للخطر والقلق وعدم الاطمئنان؛- والغريزة الأولى للإنسان تتجه باهتمامها إلى إزالة هذا الوضع المقلق. المبدأ الأول في ذلك: إن أي تفسير أفضل من عدم وجود تفسير. وبما أن الأمر يتعلق في الحقيقة برغبة في التخلص من تصورات غير مريحة، فإن المرء لا يولي اهتماما كبيرا بنوعية الوسائل الموصلة إلى ذلك: وبالتالي فإن أول تصور يجعل من المجهول أمرا معروفا يدخل على النفس من الارتياح ما يجعل المرء «يراه صحيحا»؛ دليل اللذة («القوة») كمعيار للحقيقة. إن غريزة السببية محددةٌ إذن بإحساس الخوف، وهو الذي يستثيرها. وسؤال «لماذا»، إذا ما أمكن طرحه، لا يكون مبتغاه البحث عن العلة لذاتها، بقدر ما يكون مراده *علّة بعينها*؛ علّة مريحة، مخلّصة، باعثة على الطمأنينة. وليس الاستناد إلى شيء معروف مختبَر ومنحوت في الذاكرة، وإثباته كعلة سوى النتيجة الأولى لتلك الحاجة. كل جديد، كل غير مختبَر، وكل غريب سيتم إقصاؤه وعدم أخذه بالاعتبار كعلة. فالأمر لا يتعلق إذن بمجرد البحث عن نوع ما من التفسيرات، بل عن نوع بعينه، نوع مرغوب ومطلوب من التفسيرات التي تمكّن غالبا وبأسرع ما يمكن من إزاحة الشعور الذي يكون لدينا أمام كل غريب وكل جديد وكل ما ليس لنا به خبرة؛-التفسيرات *الأكثر اعتيادا*. وتكون النتيجة: هناك نوع بعينه من التعليلات سيظل يطغى أكثر

فأكثر، يتكثف في هيأة نظام، ويتدخل بالنهاية على نحو مهيمن، بما يعني كإقصاء للعلل والتفسيرات *الأخرى*، بكل بساطة. - المصرفي يفكر مباشرة في «الأعمال»، والمسيحي في «الخطيئة»، والفتاة في حبّها.

٦

مجمل المجال الديني واالأخلاقي ينتمي إلى فكرة العلل الوهمية المذكورة. -«تفسير» الأحاسيس العامة الكريهة. تلك الأحاسيس السيئة متأتية عن كائنات معادية لنا (أرواح شريرة: الحالة الأكثر شهرة هي الخلط في اعتبار الهستيريات كساحرات). تلك الأحاسيس تسببها أفعال مكروهة (الشعور بـ«الخطيئة»، و «ارتكاب المحرمات» تصبح مسببات لأمراض فيزيولوجية؛ -سيجد المرء دوما أسبابا لعدم الرضى عن النفس). تلك الأحاسيس عقوبات، وثمن يدفع عما لا ينبغي أن نقوم به من أفعال، وعما لا ينبغي علينا أن نكون (فكرة يتم تعميمها في شكل ساذج من طرف شوبنهاور ليجعل منها قاعدة تبدو الأخلاق من خلالها على وجهها الحقيقي كمسمِّمة، وكافتراء على الحياة: «كل ألم شديد، جسمانيا كان أم معنويا، إنما هو إعلان عما نستحق، ذلك أنه لا يمكن أن يلم بنا إن لم نستحقه.» (*العالم كإرادة وتصور* ٢- ٦٦٦). تلك الأحاسيس تتأتى لنا كنتائج لأفعال طائشة ذات عواقب سيئة (الإحساسات، والحواس كأسباب، معتبَرة كلها كـ«ذنب»؛ حالات المعاناة الفزيولوجية مكرَّسة بواسطة ضروب أخرى من المعاناة كعواقب «مستحَقة»).

- «تفسير» الأحاسيس العامة *المريحة*. أحاسيس ناجمة عن الثقة بالله. وهي متأتية عن الوعي الناجم عن أعمال حسنة (ما يسمى بـ«راحة الضمير»، حالة فزيولوجية شبيهة حد التماهي بحالة هضم جيد). تلك الأحاسيس المريحة تنجم عن نهايات سعيدة تؤول إليها الأفعال (استنتاج خاطئ ساذج: فالنهاية السعيدة للأفعال لا ينتج عنها لدى إنسان كئيب أو واحد مثل باسكال أية مشاعر عامة مريحة). تلك الأحاسيس تكون ناجمة عن الإيمان والمحبة والأمل: -الفضائل المسيحية[٤٢].

- كل هذه التفسيرات المزعومة هي في الحقيقة حالات *نتائج*، وفي الآن نفسه تعبير بلغة عامية خاطئة عن مشاعر المتعة أو الملل: يكون المرء قادرا على الأمل لأن الإحساس الفزيزلوجي الأساسي لديه في حالة من القوة والثراء. ويضع المرء ثقته في الله لأن إحساس الامتلاء والقوة يمنحه شعورا بالراحة.

إن الدين والأخلاق ينتميان كليا إلى مجال *الخطأ البسيكولوجي*: لدى كل حالة منفردة يتم الخلط بين العلة والنتيجة، أو الخلط بين الحقيقة والمفعول الناجم عما يُعتقَد أنه حقيقي، أو الخلط بين حالة وعي، والسبب الذي تتأتى عنه تلك الحالة.[٤٣]

---

(٤٢) (الإيمان، المحبة، الأمل...) أنظر في هذا الصدد رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس / ١٣؛ ١٣

(٤٣) (إن الدين والأخلاق.... الخلط بين حالة وعي والسبب الذي تتأتى عنه تلك الحالة)؛ نجد في دفاتر W II 7, 37 هذه الجملة الإضافية: إن النهاية السعيدة لعمل ما لن تجعل من الكئيب إنسانا سعيدا؛ كما أن خسارة جسيمة لن تعتم بظلالها المرَح الطافح لواحد من نوع بنفينوتو سيلليني.»

٧

خطأ حرية الإرادة. لم يعد لدينا اليوم من شفقة تجاه مفهوم «حرية الإرادة»: لقد غدونا على معرفة جيدة بحقيقته: إنه أحبولة اللاهوتيين الأكثر مثارا للشبهات، التي تريد أن تجعل الإنسانية «مسؤولة» على النحو الذي يريده هؤلاء لها، بمعنى أن *يجعلوها خاضعة لهم*... لا أفعل هنا سوى عرض سيكولوجية ظاهرة إلقاء المسؤولية. حيثما يوجد بحث عن مسؤولية تكون غريزة *الرغبة في المحاكمة والعقاب* هي التي تبحث. يكون المرء *قد* جرّد الصيرورة من براءتها عندما يتم ردّ حالة وجود على هذا النحو أو ذاك إلى إرادة، وإلى نوايا وأفعال مسؤولة: لقد تم ابتداع نظرية الإرادة بغرض العقاب في الأساس،(٤٤) أي من أجل رغبة *التذنيب*. تجد مجمل البسيكولوجيا القديمة، بسيكولوجيا الإرادة، شرط وجودها الأولي في كون صانعيها، القساوسة الذين يحتلون المرتبة العليا داخل التجمعات البشرية القديمة، كانوا يبحثون لأنفسهم عن حق يمكنهم من سن العقوبات؛- أو عن ابتداع حق إلهي لذلك الغرض... جعلوا من الناس «أحرارا» كي يجعلوهم قابلين للمحاكمة والعقاب؛ كي يمكنهم أن يصبحوا مذنبين: وبالتالي كان **لا بد** لكل عمل أن يُعتبر متأتيا عن إرادة، ولكل عمل أن يكون نابعا من الوعي (بذلك جُعل من التزوير

---

(٤٤) ترد الجملة في دفاتر W II 3, 129 على هذه الصياغة: «نظرية الإرادة كنظرية للحق في الانتقام. «الله يريد أن يعاقب» : أي أن المؤسسة الكهنوتية المهيمنة تريد لنفسها الحق في ذلك.»

الأساسي الذي تقوم عليه البسيكولوجيسيس مبدأ للبسيكولوجيا نفسها. . .)

أما اليوم وقد انخرطنا في الحركة المعاكسة وقد عقدنا العزم خاصة، نحن اللاأخلاقيون، على التدخل بكل ما لدينا من قوة من أجل استئصال فكرة الذنب وفكرة العقاب من العالم، والسعي إلى تطهير البسيكولوجيا والتاريخ والطبيعة والمؤسسات والأحكام الاجتماعية منهما، فإنه ليس هناك في نظرنا من خصم أشد من اللاهوتيين الذين يواصلون توبئة براءة الصيرورة بفكرة «النظام الأخلاقي للكون» وبواسطة «الذنب» و «العقاب». إن المسيحية ليست شيئا آخر غير ميتافيزيقا الجلاد[٤٥]. . .

٨

أي شيء يمكنه أن يكون مذهبنا الوحيد؟ أن لا أحد يمكنه أن يملي على الإنسان خصاله، لا الرب، ولا المجتمع، ولا أبواه وأسلافه، ولا هو نفسه (إن الترهة المتعلقة بالتصور الأخير مما رفضنا هي إحدى التعاليم التي دعا إليها كانط وربما أفلاطون أيضا من قبل تحت إسم «الحرية المعقولة»). لا أحد يمكن اعتباره مسؤولا عن كونه موجودا أصلا، وأنه مكوّن على هذا النحو أو ذاك، وأنه يوجد ضمن هذه الشروط وداخل هذا المحيط. إن قدَر كيانه لا يمكن فصله عن قدَر كل ما كان وما سيكون. وهو ليس نتيجة لنية محددة، ولإرادة أو غرض، و لا

(٤٥) في دفاتر المسودات: «ميتافيزيقا الانتقام»، عوضا عن «ميتافيزيقا الجلاد».

يمكن أن نتخذ منه موضوعا لمحاولة التوصل إلى تحقيق «إنسان مثالي»، أو «سعادة مُثلى»، أو «أخلاق مثالية»؛ وإنه لمن العبث أن نريد الانحراف بكيانه باتجاه هدف ما. نحن الذين اخترعنا فكرة الغرض؛ لكن الغائب في الحقيقة هو الغرض... فالكائن محض ضرورة، والكائن جزء من قدر، والكائن ينتمي إلى الكل، وهو موجود في الكل. وليس هناك من شيء بإمكانه أن يقيّم وجودنا، وأن يقيسه، وأن يقارنه، وأن يحكم عليه، إذ ذلك من شأنه أن يعني أن يقيّم الكل ويقيس ويقارن ويحكم على الكل... *لكن لا وجود لشيء واقع خارج الكل*!

لم يعد هناك من أحد يحق أن تلقى عليه المسؤولية، ونوعية الوجود لا يمكن ردها إلى علة أولى، والكون لا يستطيع أن يمثل وحدة لا في صيغته الحسية وحدها، ولا في صيغته العقلية: *ذلك*، وذلك وحده هو *التحرر الكبير*، -وبذلك فقط يتم إثبات براءة الصيرورة من جديد... لقد كانت فكرة «الله» إلى حد الآن تمثل *الاعتراض* الأكبر على الوجود... إننا ننفي الله، وننفي المسؤولية في الله(٤٦): *بذلك* فقط نخلّص العالم.-

---

(٤٦) يكتنف هذه العبارة شيئ من الغموض كما يبدو لأول وهلة: هل تعني أن نفي المسؤولية يتم من خلال نفي الله، أم أن النفي لا يتعلق سوى بالمسؤولية الملقاة على الله؟ ويبدو أن نيتشه نفسه ظل مترددا في صياغة هذه الجملة وكان في كل مراجعة لنصه يعيد تدقيق صياغتها. فقد وردت على ثلاث مراحل كالآتي: «ننفي مسؤولية الله» (المسودة المطبعية الأولى؛ «ننفي المسؤولية كإله» (المسودة المطبعية الثانية)؛ ثم أخيرا الصيغة النهائية التي بين أيدينا («ننفي المسؤولية في الله»).

«مصلحو» الإنسانية(٤٧)

١

الكل يعرف ما الذي أطلبه من الفيلسوف: أن يضع نفسه في *ما وراء* الخير والشر، وأن يجعل من وهم الحكم الأخلاقي شيئا تحت منزلته. جاءت هذه المطالبة نتيجة موقف كنت أول من تولى صياغته، ومفاده أن: *لا وجود البتة لواقعات أخلاقية*. إن الحكم الأخلاقي يشترك مع الحكم الديني في إيمانه بحقائق ليست بالحقيقية. فالأخلاق ليست سوى تأويل لظواهر بعينها، أو هي بعبارة أدق تأويل *خاطئ*. والحكم الأخلاقي، مثله مثل الحكم الديني، ينتمي إلى مستوى من الجهل ما زال يُفتقر فيه

---

(٤٧) هذا الفصل أيضا من المواد التي حررها نيتشه لمشروع كتاب «إرادة القوة» الذي تخلى عنه في ما بعد، ومن الفصل الثالث بالتحديد: «*الصالحون والمصلحون*» (الكتاب الثاني: *أصل القيم*). الأفكار نفسها ترد في مسودات شتاء ١٨٨٧-١٩٨٨، لكن تحت عنوان «*كيف تحقق الفضيلة انتصارها*». وفي ربيع ١٨٨٨ ستنضاف إلى دائرة هذه الاهتمامات قراءة *قوانين مانو*. ؛ عنوان جديد: *«إصلاح» البشرية! على قاعدة الأخلاق*. (Mp XVI 4)

حتى إلى فكرة الواقع، و إلى التمييز بين ما هو واقعي وما هو خيالي، بما يجعل عبارة «حقيقة» تستعمل في هذا المستوى للتدليل على أشياء نسميها اليوم «تصورات وهمية». . . وبالتالي، لا ينبغي أن يؤخذ الحكم الأخلاقي على ظاهر اللفظ؛ إذ هو، بما هو كذلك، لا يحتوي دوما سوى على لغو مناف للفهم السليم. لكنه كمنظومة رموز يظل ذا قيمة فائقة: إنه يكشف بالنسبة للعالِم على الأقل حقائق قيّمة للغاية عن ثقافات وعوالم حياة داخلية ثرية لم تكن تملك ما يكفي من *المعرفة* كي تستطيع أن «تفهم» نفسها. فالأخلاق إذن ليست سوى لغة علامات، ومجرد مبحث أعراض. وعلى المرء أن يكون أولا على علم بما يجري داخلها كي يمكن أن تحصل له فائدة منها.

٢

إليكم الآن، وبصفة مؤقتة، مثالا أولا. على مر العصور كانت هناك محاولات متكررة لـ«إصلاح» البشرية: وقد اتخذ ذلك الأمر إسم الأخلاق خاصة. لكن العبارة نفسها كانت تخفي حشدا من الميولات المتنوعة. لقد أطلق الناس إسم «الإصلاح» على تدجين الوحش الحيواني، كما على تربية نوع بعينه من الإنسان: هذه العبارات الزوولوجية لوحدها تعبر عن حقائق معينة؛ حقائق لا يعرف عنها «المصلح» النموذجي- أي القس- شيئا؛ ولا يريد أن يعرف عنها شيئا. . . أن يدعى تدجين حيوان «إصلاحا»، فذلك ما سيكون له على مسامعنا نحن اليوم وقع الفكاهة تقريبا. وإن من يعرف ما يجري داخل عروض السرك،

لا يسعه إلا أن يشك كل الشك في أن الوحوش يتم إصلاحها هناك. هناك يتم إضعافها، وتُجعل أقل قدرة على الضرر، وتحوَّل عن طريق الأحاسيس المحبَطة المنجرّة عن الخوف وعن الألم والجراح والجوع، إلى بهائم مريضة. - والأمر لا يختلف لدى الإنسان المدجّن الذي «أصلحه» القساوسة. خلال الحقبة المبكرة من العصر الوسيط، عندما كانت الكنيسة بالفعل مؤسسة ترويض وتدجين بالمقام الأول، كانت هناك مطاردة تجري في كل مكان لاقتناص النماذج المثالية لـ«الوحش الأشقر»؛ وقد جرى مثلا «إصلاح» الجنس الجرماني النبيل. لكن على أية هيأة غدا من بعدها ذلك الجرماني «المصلَح» الذي تم اقتياده إلى الدير؟ على هيأة كاريكاتور بشري، كائن شبيه بجهيض: لقد تحول إلى «خاطئ» محبوس داخل قفص، إنسان قد تم سجنه بين قضبان أفكار فظيعة... وهناك غدا يربض مريضا، مهموما، ناقما على نفسه، ممتلئا حقدا على غرائز الحياة، ممتلئا ريبة تجاه كل ما ظل قويا وسعيدا؛ في كلمة واحدة: «مسيحيا»... وإذا ما تكلمنا بلغة فزيولوجية فسنقول: في الصراع ضد الوحش تكون إصابته بالمرض هي الوسيلة الوحيدة التي تمكّن من إضعافه. وقد فهمت الكنيسة ذلك: لقد أفسدت الإنسان، وأضعفته؛ -لكنها ادعت لحسابها أنها قد «أصلحته»...

٣

لنتناول الآن الحالة الأخرى لما يسمى بالأخلاق، حالة تربية جنس، ونوع محدد. إن المثال الأرقى على ذلك هو ما تمنحه لنا

الأخلاق الهندية مجسدة في «قانون مانو»(٤٨) الذي تم تكريسه كديانة. يطرح هذا القانون مهمة تقتضي تربية ما لا يقل عن أربعة أجناس في نفس الوقت: جنس القساوسة، وجنس المحاربين، وجنس التجار، وجنس المزارعين، وأخيرا جنس الخدم، أو السودرا. يبدو واضحا أننا لم نعد أمام مروضي حيوانات هنا: فمجرد تصور تخطيط لتربية من هذا النوع يشترط وجود نوع

(٤٨) اطلع نيتشه على قانون مانو من خلال قراءته لكتاب «المشرعون الدينيون: مانو-موسى-محمد» للكاتب الفرنسي لويس جاكولليو، باريس ١٨٧٦. Louis Jacquolliot: *Les législateurs religieux. Manou-Moise-Mahomet.*) وعن هذه القراءة يكتب بتاريخ ٣١ مارس ١٨٨٨ لبيتر غاست: «أدين للأسبوع الماضي بقراءة مفيدة للغاية: عثرت على كتاب قوانين مانو في ترجمة فرنسية تمت في الهند تحت مراقبة أكبر الكهنة والعلماء. هذا النتاج الآري الصرف؛ دستور أخلاقي كهنوتي على قاعدة الفيدا وتصورات النظام الطبقي وتقاليد الموروث القديم -ليست ذات طابع تشاؤمي، وإن كانت على غاية الكهنوتية دوما- أثْرت بصفة عجيبة منظوري للدين. وأقرّ بالانطباع الذي خلفته لدي من أن كل ما عداها مما لدينا من التشريعات لا تعدو كونها استنساخا وصورة كاريكاتورية عنها، وعلى رأسها النظام المصري القديم، لكن حتى أفلاطون نفسه قد بدا لي في كل المسائل الأساسية مجرد تلميذ نجيب للبراهمانيين. أما اليهود فيبدون هنا كجنس شاندالا قد تعلم عن أسياده المبادئ التي تم بمقتضاها تنصيب سيادة الكهنوت وتنظيم حياة شعب... بل وحتى الصينيين، فإنه يبدو أنهم، هم أيضا، قد أنتجوا مفكريْهم الكبيريْن كونفشيوس ولاو تسي على قاعدة هذا الكتاب التشريعي القديم. كما يبدو التنظيم القروسطي بهيأة مساعي غريبة لتلمّس كل التصورات التي كان يقوم عليها المجتمع الآري-الهندي القديم - لكن بقيم تشاؤمية تضرب بجذورها في أرض جنس الانحطاط. - وهنا يبدو اليهود مجرد «وسطاء»، - إنهم لم يبتدعوا شيئا.»

بشري أكثر رهافة وأكثر رجاحة في العقل. يتنفس المرء الصعداء هنا وهو ينتقل من هواء المستشفيات والسجون المسيحي ليلج هذا العالم *الأرحب* والأرقى، والأكثر عافية. ولكم تبدو بائسة أناجيل «العهد الجديد» مقارنة بمانو، وبأية رائحة كريهة تفوح! لكنّ هذا التنظيم يظل بحاجة هو الآخر إلى أن يكون *فظيعا*، ليس في محاربة الوحش الحيواني هذه المرة، بل ضد نقيض مفهومه، الإنسان الذي لم يخضع إلى التربية، إنسان الخليط الفوضوي، إنسان الشاندالا(٤٩). ومرة أخرى لا يملك التنظيم من وسيلة لتدجينه وتهذيبه وإضعافه غير جعله *مريضا*،- كان ذلك هو الصراع ضد «العدد الأكبر». ولعله لا يوجد ما يتعارض و شعورنا أكثر من هذه القواعد الحمائية للأخلاق الهندية. فالمرسوم الرابع على سبيل المثال (أفادانا ساسترا ١) المتعلق بـ«الخضروات غير الطاهرة» يقضي بأن الغذاء الوحيد المسموح به للشاندالا يجب أن لا يكون من غير البصل والثوم، نظرا لأن النص المقدس يحرم أن تقدم إليهم الحبوب والثمار ذات النوى وكذلك النار والماء. وينص القرار نفسه على أنه يحجر على هؤلاء أن يأخذوا ما

---

(٤٩) الشاندالا : عبارة من اللغة السنسكريتية تفيد لغة «أكلة الكلاب»، وتستعمل في مدلول تحقيري لتسمية الطبقة الشعبية الدنيا من المجتمع الهندي التقليدي. الفئة المقصاة والمنبوذة (الذين لا يحق لمسهم- untouchable-). ثم تحولت العبارة في ما بعد إلى شتيمة أيضا. ويعود تاريخ العبارة في هذا المدلول الاجتماعي التحقيري إلى مؤلف مانو الشهير المعروف بـ«سمريتي مانو» (قوانين مانو)، ويعرف أيضا بإسم (Manava-dharma-shastra) الذي حدد فيه مجمل التشريعات والقوانين التي تقيد سير المجتمع الهندوسي من وجهة نظر الرؤية البراهمانية. (المترجم)

يحتاجونه من ماء، لا من الأنهار ولا من العيون أو البحيرات، بل فقط من حافات المستنقعات ومن الحفر التي تتكوّن من مواقع موطئ الحيوانات. وفي الآن نفسه يحجر عليهم الغسيل والاغتسال، ذلك أن ما يمنح لهم من ماء على سبيل الرحمة لا يحق استعماله إلا لإطفاء ظمئهم فقط. وهناك أخيرا أمر آخر يمنع نساء السودرا من مساعدة نساء التشاندالا أثناء الولادة، ويمنع هاته الأخيرات من *مساعدة بعضهن البعض* أيضا[٥٠]... لن تتأخر هذه السياسة الصحية في إتيان نتائجها: أوبئة قاتلة، وأمراض تناسلية شنيعة، ومرة أخرى ستكون النتيجة «قانون السكين» ختانا للذكور وبترا لشُفر الإناث، كما يقتضي ذلك القانون. ومانو نفسه يقول: «إن التشاندالا من ثمار الزنا وزنا المحارم والجريمة (وتلك هي النتيجة *الضرورية* لفكرة التربية). ينبغي أن تكون ملابسهم من أطمار الأكفان، وأوانيهم من شُقف الكسارات، وحليّهم من الحديد القديم، وقدّاسهم للأرواح الشريرة؛ وعليهم أن يظلوا متنقلين من مكان إلى مكان في تهوام لا يعرف انقطاعا. كما يحجر عليهم الكتابة من الشمال إلى اليمين، واستعمال اليد اليمنى في الكتابة: ذلك أن استعمال اليد اليمنى، والكتابة من الشمال إلى اليمين حكر على *أفاضل* الناس، أي المنتمين إلى *الجنس النبيل*.»[٥١]

---

(٥٠) الفقرة السابقة منقولة حرفيا من «سميرتي مانو» (١٠، ٥١-٥٢). أنظر لويس جاكولليو، المصدر المذكور في الهامش رقم ٥٠.(م)

(٥١) لويس جاكولليو، المصدر نفسه (م)

هذه القوانين تنطوي على قدر كاف من الدلالات المفيدة: نجد فيها صورة الإنسانية الآرية نقية تماما[٥٢]، وفي هيأة أصلية لا غبار عليها؛ وهي تعلمنا أن مفهوم «الدم النقي» أبعد ما يكون عن الفكرة البريئة. ومن ناحية أخرى يتضح لنا داخل *أي* شعب قد تمكّن الحقد، حقد الشاندالا ضد هذه الإنسانية، من تخليد نفسه، ومن أن يتحول إلى دين، وإلى *عقل مبدع*... من هذا

(٥٢) لنيتشه مفهومه الخاص في استعمال عبارة «آري»، ويحرص على أن لا يتم الخلط بين مفهومه والاستعمال المتداول لدى المعادين للسامية في عصره، والذين عبر في العديد من المرات («زرادشت»، «هذا هو الإنسان»...) لا عن تمايزه عنهم فحسب، بل وعن عميق الاحتقار الذي يكنه لهم (م). وهنا رسالة وجهها إلى تيودور فريتش صاحب صحيفة «مراسللات معادية للسامية» وصديق برنهاردت فورستر وزوجته إليزابيت فورستر-نيتشه (شقيقة نيتشه) - محرريْ «دليل المسألة اليهودية» (١٩٢٣) والمناصريْن لحركة القومية الاجتماعية، يكاتبه نيتشه ليرد عليه على إثر اتصاله بنسخة قد أرسلها إليه من صحيفته "Antisemitische Korrespondanz": «إعلموا، إن هذه التطاولات الكريهة لهواة متطفلين يريدون أن يدلوا بدلوهم في مسائل قيمة الإنسان والأعراق، وهذا الخضوع إلى «سلطات» لا يسع كل ذي عقل راجح (مثل ب. إ. دوهرينغ، ور. فاغنر، وإبرارد، وفاهرموند، وب. دي لاغارد-وليس فيهم واحد لا يعد مرجعا وسلطة ثابتة في مسائل الأخلاق والتاريخ!) إلا أن يدفعها عنه بكل احتقار، كل هذه التزويرات والمعالجات السخيفة المستديمة لمفاهيم فضفاضة من نوع «جرماني»، و«سامي»، و«آري»، و«مسيحي»، و«ألماني» -كل هذا قد يجعلني أنتهي إلى الخروج عن طوري وأقلع عن السخرية الحليمة التي كنت أنظر بها إلى حد الآن إلى ذلك التدبذب الفضائلي وتلك الفرّيسيّة، اللتين تميزان ألمان اليوم. -وبالأخير، ماذا تعتقدون أي شعور مقلق يكون لدي عندما يأتي ذكر زرادشت على ألسنة معادين للسامية؟...

المنطلق تمثل الأناجيل وثيقة ذات أهمية أولى، وأكثر منها كتاب إنوخ[٥٣]. فالمسيحية التي نشأت من جذور يهودية، والتي لا يمكن فهمها إلا كنبت من تلك التربة، تمثل *الحركة النقيضة* المناهضة لكل أخلاق التربية الانتقائية، وأخلاق العرق، وأخلاق الامتيازات: إنها الديانة المناهضة للآرية بامتياز: المسيحية هي قلب كل القيم الآرية وانتصار قيم الشاندالا، وإنجيل الفقراء المعلن وذوي المنزلة الدنيا، والانتفاضة العامة لكل المضطهدين والبائسين والفاشلين والمحبطين ضد «العنصر المتفوق»؛ -انتقام الشاندالا الأبدي في هيأة دين *المحبة*...

٥

تجد أخلاق التربية وأخلاق التدجين نفسهما متساويتين تمام التساوي من حيث الطرق التي تعتمدانها لفرض نفسهما: يمكننا (تبعا لذلك) أن نضع كقاعدة أولى، أن من يريد أن يضع أخلاقا عليه أولا أن يكون حائزا على إرادة النقيض الضرورية. تلك هي

(٥٣) مؤلف يهودي قديم منسوب إلى إنوخ أحد أجداد نوح، وليس كتاب السحر والخرافات المرعبة حول الموت المعروف بـ«كتاب أسرار إنوخ». ما يزال كتاب إنوخ معتمدا كأحد النصوص الأساسية في كتاب العهد القديم لدى الكنيسة الأورثوذكسية الإثيوبية، بينما رفضته اليهودية ولم يعد له مكان داخل الكتاب المقدس. وقد غدا يعد مؤلفا منحولا من قبل بقية الكنائس المسيحية وذلك منذ سنة ٣٦٤ م. (المترجم)
في دفاتر W II 3,8 توجد هذه الجملة التي نقلها نيتشه عن رينان («حياة يسوع» باريس ١٨٦٣ ص ١٨١.): «يحتوي كتاب إنوخ على لعنات على الدنيا والأغنياء والأقوياء أكثر حدة مما يوجد في الأناجيل.»

المشكلة الكبرى والمخيفة التي عكفتُ على تقصيها لأطول مدة من الزمن: سيكولوجيا «مصلح» الإنسانية. وهناك حادثة صغيرة ومتواضعة في الأساس، حادثة الكذبة المقدسة Pia fraus[٥٤] هي التي فتحت لي المدخل الأول إلى هذه المسألة: لقد كان الكذب المقدس الإرث المشترك لكل الفلاسفة وكل القساوسة الذين انخرطوا في «إصلاح» الإنسانية. ولم يكن لا مانو، ولا أفطون، ولا كونفشيوس، ولا الدعاة اليهود والمسيحيين، ليشكوا لحظة في حقهم في الكذب. كما لم يشكوا أيضا في حقوق أخرى من نوع مغاير تماما. . . وإذا ما أردنا أن نعبر بصيغة القواعد، يمكننا أن نقول: *كل* الوسائل التي تم استخدامها إلى حد الآن بهدف جعل الإنسانية أكثر أخلاقية، كانت جميعها *لا*أخلاقية في أساسها.

---

(٥٤) عبارة *Pia Fraus* تعني الخداع و الكذب والمغالطة، أو كتم الحقيقة بدافع نوايا طيبة، أو ممارسة خداع على الشعب من أجل غاية دينية. ينحدر هذا التعبير عن أوفيد الذي يروي في كتاب «التحولات» قصة رجل من كريت كان يريد أن يكون له ولد بأي ثمن. وقد توعد بقتل المولود القادم إن كنت بنتا. لكن زوجته وضعت بالفعل بنتا، فجاءت الربّة إيزيس لتنصح الأم بأن تقدم مولودها كولد. عن طريق هذه المغالطة أنقذت حياة تلك البنت، ثم تدخلت الربة من بعد لتحولها إلى ذكر. تستعمل العبارة أيضا للتعبير عن مغالطة الذات. (المترجم)
عن «الكذب المقدس» نجد في آخر الفقرة ٥٥ من «نقيض المسيح» هذه الجملة: «الكذب المقدس» -الأمر المشترك بين كونفشيوس، ودستور مانو، ومحمد، والكنيسة المسيحية؛ ولا يُفتقد لدى أفلاطون أيضا. «هنا الحق»؛ يعني ذلك: حيثما يكون الكلام بصوت مرتفع، يكذب *القس*.

أشياء يفتقر إليها الألمان

١

لم يعد كافيا لدى الألمان اليوم أن يكون المرء ذا عقل: على المرء أيضا أن يكتسبه بنفسه، أن ينتزع عقلا لنفسه[٥٥]... لعلني أعرف الألمان، ولعله يحق لي أن أفاتحهم هم أيضا ببعض الحقائق. تمتلك ألمانيا الجديدة كمًّا هائلا من الكفاءات الموروثة والمكتسبة، بما يجعلها قادرة على إنفاق هذه الثروة المتراكمة لمدة طويلة من الزمن، وبإسراف أيضا. ليست ثقافة من الصنف الراقي هي التي رافقت تبوؤها منزلة السيادة، ولا هو الذوق الرفيع أو «الجمال» النبيل للغرائز، بل فضائل *أكثر فحولة* مما يمكن لأي بلد أوروبي آخر أن يطرح للعيان. الكثير من الشجاعة ومن احترام النفس، والكثير من الوثوق في المعاملات وفي احترام الواجبات المتبادلة، والكثير من الجد في العمل، والكثير من المثابرة، واعتدالا موروثا، هو بالأحرى بحاجة إلى مهماز أكثر

---

(٥٥) جملة مشطوبة، مثبتة في دفاتر W II 3, 184 و W II 7, 154 : «على المرء أن يتحلى بكثير من الشجاعة لكي يكون ألمانيا بين الفرنسيين.»

منه إلى كوابح. وأضيف أيضا أن المرء يطيع هنا دون أن تكون الطاعة مهينة... ولا أحد يحتقر خصمه...

واضح أنني لا أرغب إلا في أن أكون عادلا تجاه الألمان: وفي هذا المضمار لا أود أن لا أكون منصفا لنفسي أيضا؛ عليّ إذن أن أعبر لهم عن مآخذي عليهم أيضا. مكلف جدا هو الوصول إلى السلطة: فالسلطة تُبلّد صاحبها... والألمان الذين كانوا يُدعون في ما مضى بشعب المفكرين؛[٥٦] ترى هل ما زالوا يفكرون؟ -الألمان يضجرهم العقل في أيامنا هذه، والألمان يرتابون اليوم من العقل، والسياسة تفترس كل الجدية التي ينبغي أن تؤخذ بها الأمور العقلية؛ -«ألمانيا، ألمانيا فوق كل شيء»[٥٧]، أخاف أن تكون هذه نهاية الفلسفة الألمانية... «هل هناك فلسفة ألمانية؟ هل هناك شعراء ألمان؟ هل هناك كتب ألمانية جيدة؟» يسألني الناس في البلاد الأجنبية. أحمرّ، لكنني، وبالبسالة المعهودة لدي حتى في الحالات الأكثر عسرا، أجيب: «نعم، بسمارك!» -هل سيكون بوسعي أيضا أن أعترف بنوعية الكتب التي يقرأها الناس اليوم؟[٥٨]... يا لغريزة الرداءة اللعينة!-

---

(٥٦) أول من تكلم عن «شعب المفكرين والشعراء» كان غيورغ بوشمان في كتاب *Geflügelte Wörte* (١٧٨٢) نقلا عن كارل موزويس في مقدمة كتابه «*أساطير شعبية*» (١٨٧٢).

(٥٧) «*ألمانيا، ألمانيا فوق كل شيء!*» هو البيت الأول من «*نشيد الألمان*» من نظم هـ. هوفمان فون فاللرسليين (١٨٤١)، والذي سيصبح النشيد الوطني للرايش الألماني. (م)

(٥٨) في الصيغة الأولى للمقدمة، التي حررها في بداية سبتمبر ١٨٨٨ في =

ماذا يمكن أن يكون العقل الألماني؟ من لم تخامره أكثر الأسئلة قلقا بخصوص هذه المسألة! لكنّ هذا الشعب قد أسلم نفسه طواعية ودون قيد إلى التبلّد منذ ما يقارب قرنا من الزمن: ما من بلد في الدنيا قد عرف مثل هذا الإسراف الداعر في تعاطي المخدّريْن الأوروبييْن الأكبريْن، وهما الكحول والمسيحية. ومؤخرا، انضاف إليهما أيضا مخدر ثالث، قادر لوحده على تدمير مجمل الديناميكية المرهفة والجريئة للعقل، ألا وهي الموسيقى، موسيقانا الألمانية المصابة والمصيبة بالقبض. - كم من الثقل الكئيب، ومن الشلل، ومن الرطوبة، وقمصان النوم، وكم من البيرة داخل هذا العقل الألماني! كيف يمكن حقا لشبان ينذرون وجودهم للغايات العقلية أن لا يشعروا في داخلهم بالغريزة العقلية الأولى، غريزة *بقاء العقل*، حتى يقبلوا على عبّ البيرة؟ . . . لعل الإدمان على الكحول لدى الشباب العالِم لم يعد يمثل نقطة استفهام حول علمهم؛ -يمكن للمرء أن يكون عالما كبيرا أيضا دون أن يكون ذا عقل، - لكن الأمر يظل مشكلة من جميع وجهات النظر الأخرى. في أي مكان لا يجد المرء ذلك الانحطاط الناعم الذي تحدثه البيرة على العقل؟ ولقد سبق لي

= سيلس ماريا نجد جملة مشابهة: «هل يبغي أن أقرّ أية كتب يقرأ الألمان اليوم؟ داهن؟ إيبرز؟ فرديناند ماير؟- ولقد سمعت أساتذة جامعيين يمتدحون هذا «البِيدرماير» المتواضع على حساب غوتفريد كللر! - يا لغريزة الرداءة اللعينة!.»

ذات مرة،[٥٩] وبخصوص حالة غدت شهيرة تقريبا، أن وضعت الإصبع على هذا الانحطاط؛ انحطاط العقل الحر الأكبر لمفكرنا الألماني *الذكي* دافيد شتراوس إلى منزلة محرر إنجيل حانة بيرة و«عقيدة جديدة»... ولم يكن من باب الصدف أن أدى لـ«الشقراء اللطيفة» قسَم الوفاء في أشعاره[٦٠]: -وفاء حتى الموت.

٣

تكلمت عن العقل الألماني قائلا بأنه ما انفك يغدو أكثر فأكثر فجاجة، وأنه ما انفك يتسطّح. هل هذا بكاف؟ -في الحقيقة هناك شيء آخر هو الذي يفزعني، وهو كيف أن الجدية الألمانية، والعمق الألماني، *والصبوة* الألمانية في ما يتعلق بالأمور العقلية تتراجع وتتقهقر. إن الشحنة الوجدانية هي التي تغيرت وليس المحتوى العقلي وحده. بين الحين والآخر تحصل لي لقاءات هنا وهناك في جامعات ألمانية: وأية أجواء تسود بين علمائها! وأي جدب، وأي فتور وطمأنينة قد طرأت على عالمها الذهني! وسيكون من باب سوء التفاهم أن يحاول أحد ما أن يعترض عليّ بالعلوم الألمانية -عدا أن ذلك سيكون دليلا على

---

(٥٩) «ذات مرة»، يعني بذلك في *«معاينات غير معاصرة»: دافيد شتراوس المؤمن والكاتب*، في رد على كتاب د. شتراوس: *«العقيدة القديمة والعقيدة الجديدة»*.

(٦٠) دافيد شتراوس، الأعمال الكاملة. المجلد ١٢: أشعار منشورة بعد الوفاة.

أنه لم يقرأ كلمة واحدة مما كتبت. فأنا لم أنفك ألح دون كلل منذ سبعة عشر سنة في تسليط الضوء على التأثيرات *المجدِبة* التي تمارسها مؤسستنا العلمية الحالية على العقل. إن الاسترقاق الشديد الذي يحكم به الامتداد العريض الهائل للعلوم اليوم على كل الأفراد لهو أحد الأسباب الرئيسية في أن عددا كبيرا من طبائع أكثر امتلاء وأكثر ثراء *وأكثر عمقا* لم تعد تجد ما يناسبها من التعليم ومن *المدرّسين*. ليس هناك من شيء تعاني منه ثقافتنا مثل ما تعاني من ذلك الفائض من حشد سماسرة الرصيف الأدعياء وكسارات الإنسانيات المتشظية. وقد أصبحت جامعاتنا *رغما عنها* المستنبتات المكيّفة الحقيقية لمثل هذا النوع من الترهل الغريزي الذي يطال الفكر. و أوروبا بأكملها قد غدت على علم بذلك، -لأن خدعة السياسة الكبرى لم تعد تنطلي على أحد، -ألمانيا ما انفكت تمثل *البلاد المسطحة*[٦١] لدى الجميع. -ما زلت أبحث عن ألماني واحد يمكنني أن أكون جديا معه على النحو الذي أراه في الجدية، -وأندر من ذلك هو الألماني الذي يمكنني أن أكون مرحا معه! غسق الأوثان: آه، من سيكون بإمكانه أن يفهم اليوم من أي أمر جدي يستريح الفيلسوف هنا! إن المرح حقا لهو أكثر الأشياء استعصاء على الفهم فينا...

(٦١) أنظر «هذا هو الإنسان»؛ ما الذي يجعلني أكتب كتبا جيدة-الفقرة ٢.
و «نيتشه ضد فاغنر» -المقدمة.

٤

لنقم بجرد حسابي: ليس من البديهي فقط أن الثقافة الألمانية في حالة انحطاط، بل لدينا أيضا من الأسباب الكافية لتفسير هذا الأمر. فما من أحد يستطيع بالنهاية أن ينفق أكثر مما يملك؛ وهذا الأمر ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الشعوب. فعندما ينفق المرء نفسه من أجل السلطة، ومن أجل السياسة، ومن أجل الاقتصاد، ومن أجل المعاملات الدولية، ومن أجل التمثيل البرلماني والمصالح العسكرية؛ وعندما يبدد المرء في هذا الاتجاه الكم الذي بحوزته من العقل ومن الجدية والإرادة والسيطرة على الذات، فإن ذلك سينقصه في الاتجاه الآخر. الثقافة والدولة[٦٢] -ولندع مغالطة النفس جانبا-طرفان نقيضان: «دولة

(٦٢) عن الدولة والثقافة، وبالتحديد هذا المقطع ما بين (الثقافة والدولة- ...... أي اعتبار) يأتي في دفاتر W II 6,139-141 كالآتي: «الثقافة والدولة طرفان نقيضان: [تزعم الدولة اليوم أن لها كلمة في المسائل الثقافية، بل وحق القرار ايضا،- كما لو أن الدولة لم تكن مجرد أداة، بل وأداة من الصنف الأدنى، في يد الثقافة! وكم من الإمبراطوريات الألمانية سيكون علينا أن نقدم مقابل غوته واحد!] - كل العصور الثقافية الكبرى كانت عصور انحطاط سياسي. [ليس هناك من مشكلة في الأمر]. اليوم، حيث غدت الدولة ممسكة بمقاليد الامبراطورية، وتزعم حقا لها في الإدلاء بدلوها في مسائل الثقافة، بل وفي اتخاذ القرارات، سيكون من المفيد أن نطرح سؤالا مقابلا صغيرا: كم من إمبراطورية ألمانية سيكون على المرء أن يدفع ثمنا لواحد فقط من نوع غوته؟ فـ«الرايش» ما زال يمثل إلى حد الآن كارثة في تاريخ الثقافة: لقد غدت أوروبا أكثر فقرا منذ أن تخلى العقل الألماني عن «العقل». وإن الناس على علم بذلك في البلاد الخارجية: فلا يغالطنّ الألمان أنفسهم بهذا الشأن!»

الثقافة» ليست في الحقيقة سوى فكرة من نتاج الحداثة. فالواحدة منهما تمتص الحياة من الأخرى، والواحدة تنتعش على حساب الأخرى. وكل العصور الثقافية الكبرى هي عصور انحطاط سياسي: كل ما هو عظيم من وجهة نظر الثقافة يكون غير سياسي، بل *ومناهضا للسياسة*؛- لقد انفتح قلب غوته أمام ظاهرة نابليون،- وانغلق قلبه أمام «حروب التحرر»... وفي الوقت الذي تصعد فيه ألمانيا كقوة كبرى تكتسب فرنسا أهمية متنامية *كقوة ثقافية*. واليوم نرى أن عقولا جدية جديدة كثيرة، وعقولا شغوفة جديدة قد هاجرت إلى باريس؛ هناك يتم التطرق إلى مسألة التشاؤم مثلا، ومسألة فاغنر، وكل المسائل البسيكولوجية والفنية تقريبا، وتُتناول بالدرس والنقاش بمستوى من الدقة والعمق أرقى بكثير مما يحدث في ألمانيا؛-الألمان غير *قادرين* على مثل هذا النوع من الجدية. وإن صعود «الرايش» يعني في تاريخ الثقافة الأوروبية شيئا واحدا في المقام الأول: *تحولٌ لمركز الثقل*. والجميع يعرف الآن هذا الأمر: في ما يخص المسألة الأساسية-وذلك يعني دوما الثقافة- لم يعد للألمان من مكانة تذكر. واليوم يُطرح علينا هذا السؤال: هل لديكم عقل واحد يمكن أن *يدخل في الحسبان* بالنسبة لأوروبا، مثلما كان لكم مثل ذلك في غوته وهيغل وهاينرش هاينه وشوبنهاور؟ إنه حقا لأمر مما غدا يثير دهشة لامتناهية أن لم يعد هناك اليوم فيلسوف ألماني واحد.[٦٣]-

---

(٦٣) وردت هذه الجملة الأخيرة في دفاتر W II 6, 141 كالآتي: «إنها لنهاية =

٥

لقد غدا مجمل التعليم العالي الألماني اليوم مفتقرا إلى الأمر الأساسي: الهدف، والوسيلة الموصلة إلى الهدف على حد السواء. أن تكون التربية، والثقافة هدفا في حد ذاتها، وليس «الرايش»، وأن يكون ما يحتاج إليه لذلك الغرض هو *المربي*، وليس مدرس الثانوية والأكاديمي، -ذلك هو ما نسيناه... ما نحتاج إليه هم مربون حائزون بدورهم على تربية جيدة، عقول راقية، متفوقة، قادرة على إثبات كفاءتها في كل لحظة، في الكلام كما في الصمت، عقول مثقفة قد غدت ناضجة وعذبة، - *و*ليس فظاظات عالمة تقدمها المعاهد الثانوية والجامعات «مرضعاتٍ راقياتٍ» لرعاية الشباب. إن ما ينقص اليوم، بصرف النظر عن حالات استثنائية نادرة، هم المربون؛ الشرط *الأولي* للتربية: من *هنا* يتأتى انحطاط الثقافة الألمانية. واحد من الحالات الاستثنائية النادرة جدا هو صديقي الجدير بالتقدير جاكوب بوركهاردت من بازل: له تدين بازل بمكانتها الإنسانية المتفوقة. إن ما تتوفق المعاهد العليا الألمانية في إنجازه بالفعل هو ذلك الترويض الفظيع كي تستطيع، وفي أقصر ما يمكن من

= من فصيلة الأحداث الجسام أن لا يكون هناك اليوم فيلسوف ألماني واحد. ولا يمكن أن نعتبر أيا كان ظالما تجاه الألمان إذا ما عاب عليهم أن يتمكن أرهاط من الثرثارين التافهين من نوع إدوارد فون هارتمان عديم الوعي، أو ويش سامٌ كدر الطبع من نوع م. إ. دوهرينغ ذلك المعادي للسامية البرليني، من ابتزاز لقب الفيلسوف ؛ -فالأخير ليس لديه من رجل واحد جدير بالاحترام من بين أتباعه، و الأول لا يتمتع بـ«فهم» سليم جدير بالتقدير.

الآجال، أن تهيء عددا هائلا من الشبان المسخرين *والمطوّعين* لخدمة الإدارة الحكومية. «التعليم العالي» *والجمهور الغفير*؛ ذلك ما يحمل تناقضا في الأساس. كل تعليم راق لا يعني سوى أقلية من الحالات الاستثنائية: على المرء أن يكون متميزا كي يحق له أن يتمتع بمثل هذا الامتياز الراقي. كل الأشياء العظيمة وكل الأشياء الجميلة لا يمكنها أن تكون مشتركة بين الجميع: *pulchrum est paucourum hominum*. ما الذي كان سببا في انحطاط الثقافة الألمانية؟ أن «التعليم العالي» لم يعد *امتيازا*: ديمقراطوية الثقافة «العامة» المتحولة إلى «ثقافة» عمومية... ولا ينبغي أن ننسى أن الامتيازات العسكرية[٦٤] تدفع بشكل صريح إلى *الارتياد الجماهيري الغفير* للمعاهد العليا؛ يعني انحطاطها. واليوم، لم يعد بإمكان أحد في ألمانيا أن يمنح أطفاله تعليما راقيا: فمعاهدنا «العليا» قائمة كلها، بمدرسيها وبرامجها التعليمية وأهدافها، على ضرب من الرداءة الأكثر التباسا. وهناك عجلة غير سليمة تسود في كل موضع ولدى الجميع، كما لو أن شيئا مهما سيكون قد ضاع وتم تفويته إذا ما بلغ شاب سن الثالثة والعشرين دون أن يكون قد «أنهى» دراسته، ولا يعرف جوابا عن «السؤال المركزي»: *أية وظيفة؟*-إن إنسانا من النوع الراقي، وأستسمحكم في مثل هذا القول، لا يريد «وظائف»، لأنه يدرك

---

(٦٤) يعني هنا قرار الإعفاء من الخدمة العسكرية لمن يزاولون تعليما داخل المعاهد العليا والجامعات (من هوامش الترجمة الفرنسية لجون كلود هيميري، دار غاليمار).

أنه مدعوّ. . .[٦٥] إن لديه متسعا من الوقت، وهو يأخذ وقته، ولا يفكر البتة في أن يكون «منتهيا»؛ ففي سن الثلاثين يكون الإنسان من وجهة نظر الثقافة العليا مبتدئا، طفلا.

إن معاهدنا الثانوية المكتظة، ومدرّسي ثانوياتنا المرهَقين والذين بُلّدت أذهانهم لَفضيحةٌ حقا: ولكي يدافع المرء عن مثل هذا الوضع، كما فعل مؤخرا أساتذة هايدلبارغ، لا بد أن تكون هناك *أسباب* لذلك؛- أما مبررات، فلا.

٦

كي لا أخرج عن طبعي الذي يتميز بالإثبات ولا يلجأ إلى النقد والمناقضة إلا مكرها وبصفة غير مباشرة، سأطرح المهمات الثلاث التي تجعلنا بحاجة إلى مربّين. إن المرء بحاجة إلى أن يتعلم *النظر*، وبحاجة إلى أن يتعلم كيف يفكر، وأن يتعلم *الكلام*

---

(٦٥) أنظر «هذا هو الإنسان» -لماذا كتبت كتبا جيدة-؛ فصل «إنساني مفرط في الإنسانية»، الفقرة ٣: «. . .وفي ذلك الزمن بدأت أحدس العلاقة القائمة بين نشاط يختاره المرء ضد غريزته العميقة، أي ما يدعى وظيفة، وهو أبعد ما يكون عما **تدعو إليه** (التشديد من عندنا) المؤهلات الذاتية (. . . .) إن نظرة ملقاة بحذر على ما يحيط بي جعلتني أكتشف أن عددا غير قليل من الشبان يعاني من مثل هذه الحالة الرثة: كل اغتصاب للطبيعة ينجر عنه حتما اغتصاب مماثل مواز. وفي ألمانيا، في ظل سيادة الرايش -كي نتلافى كل إمكانية للغموض- هناك عدد كبير جدا من الشبان الذين يجدون أنفسهم مكرهين على اتخاذ قرارات سابقة لأوانها ليظلوا بقية حياتهم ينوءون تحت عبء لم يعد من الممكن التخلص منه. . .» (المترجم).

والكتابة: والهدف المشترك من هذه الأمور الثلاثة هو حصول ثقافة راقية. تعلُّم *النظر*: أن يعوّد المرء عينه على الهدوء والصبر، وعلى أن تدع الأشياء تأتي إليها، وعلى إرجاء الحكم، وعلى التطرق إلى الحالة الخاصة من كل الزوايا والإحاطة بها من كل الجوانب. إنها المدرسة التحضيرية *الأولى* للتكوين العقلي: أن لا نرد الفعل مباشرة على أية إثارة، بل أن يظل المرء ممسكا بغرائز الكبح والتحييد. أن نتعلم *النظر*، كما أفهم ذلك، يعني تقريبا ما يسمى في اللغة غير الفلسفية بالإرادة القوية: والأساسي في الأمر هو بالذات أن **لا** «يريد» المرء، وأن يكون *قادرا* على تعليق القرار. فكل ابتذال وكل عاميّة تنبني على عدم القدرة على مقاومة مفعول المثيرات: أن يجد المرء نفسه ملزما برد الفعل، وأن ينساق إلى كل استثارة. وفي حالات عديدة يكون هذا الإلزام حالة مرَضية، انحطاطا وعرَض إنهاك؛ - كل ما تعبّر عنه لغة الفجاجة اللافلسفية بإسم «الفساد» هو في الحقيقة ذلك العجز الفزيولوجي الذي يجعل المرء غير قادر على أن لا يرد الفعل. وإليكم استعمالا تطبيقيا عن حاصل تعلُّم النظر: يصبح المرء كـمتعلّم بطيئا، متشككا، وأكثر مقاومة. وسيقابل كل الأشياء الغريبة *والجديدة* التي تقبل عليه بهدوء عدواني؛ -يسحب يده من أمامها بحذر. إن الانفتاح الكلي والوقوف بأبواب مشرعة، والانبطاح المفرط في المجاملة أمام كل أمر صغير، والاستعداد الدائم للانضمام والارتماء في أحضان كل آخر وكل مغاير، بكلمة واحدة تلك «الموضوعية» الحداثية الشهيرة، هي عنوان الذوق الرديء، وهي الوضاعة *بامتياز*. -

٧

أن يتعلم المرء *التفكير*: لقد غدا هذا الأمر غريبا كل الغرابة عن مدارسنا اليوم. وحتى داخل الجامعات، بل وبين علماء الفلسفة قد شرع المنطق كنظرية وكممارسة وكحرفة في الاضمحلال. لنقرأ الكتب الألمانية: لا شيء يذكّر داخلها ولو من بعيد بأن التفكير يتطلب تقنية وبرنامجا تعليميا وإرادة تمكُّنٍ حِرَفي؛ وأن التفكير ينبغي أن يُتعلّم مثل الرقص، كنوع من الرقص هو أيضا... من ترى من الألمان ما زال يعرف عن تجربة تلك القشعريرة التي تحدثها الأقدام الخفيفة للعقل، وهي تخترق كل عضلات الجسد! تصلب جاف، ويد ثقيلة عند الملامسة: صفات قد غدت خصوصيات ألمانية إلى درجة أنها أصبحت عنوان الروح الألمانية لدى الناس في البلاد الخارجية. الألماني لا يمتلك أصابع مرهفة لتمييز الفروقات... وبما أن الألمان قد استطاعوا أن يتحملوا فلاسفتهم، وعلى وجه الخصوص ذلك الأكثر مسخا من بين الأذهان العرجاء جميعا، ألا وهو كنط *العظيم*، فإن ذلك ليمنحنا فكرة ليست بالقليلة عن رهافة الألمان ورقة طبعهم! -لا يمكن البتة أن نقصي *الرقص* بجميع أنواعه من كل تربية *راقية*؛ إجادة الرقص بالقدمين، وبالأفكار، وبالكلمات؛ -هل سيكون عليّ أن أضيف بأنه على المرء أن يجيد الرقص بالقلم أيضا؛ وأنه على المرء أن يكون قادرا على الكتابة؟- لكنني في هذا الموضع بالذات سأكون قد تحولت إلى لغز مبهم في أعين القراء الألمان...

تسكعات رجل غير موافق للعصر[٦٦]

١

أولئك الذين لا أطيقهم :

سينيكا؛ أو «توريادور» (مصارع الثيران) الحكمة.

روسو؛ أو العودة إلى الطبيعة في هيأة *impuris naturalibus*[٦٧].

(٦٦) هذا الفصل بكليته مأخوذ من المسودات التي كان نيتشه يضعها (ما بين خريف ١٨٨٧ وصيف ١٨٨٨) إعدادا لكتاب *«إرادة القوة»*. وهي دليل آخر على أن «غسق الأوثان» قد نشأ على أنقاض ذلك الكتاب الذي تخلى عنه نيتشه. في النسخة الأولى الجاهزة للطباعة في صائفة ١٨٨٨، أي النسخة التي ما يزال *«غسق الأوثان»* و*«نقيض المسيح»* يكونان فيها كلا متكاملا، وردت الفقرات ١ إلى ١٨ تحت عنوان «بين الفنانين والكتاب»، والفقرات ١٩ إلى ٣١ و ٤٥ إلى ٥١ تحت عنوان «مقتطعات من نظريتي الجمالية»، بينما أضيفت الفقرات ٣٢ إلى ٤٤ من طرف نيتشه ما بين ٤ و١٣ أكتوبر خلال عمل المراجعة والتصحيح. وتنتمي هي أيضا إلى مسودات من إعدادات سابقة لكتاب *«إرادة القوة»* المتخلى عنه.

(٦٧) تحريف لعبارة *in puris naturalibus* اللاتينية التي تعني: عارٍ تماما/ أو في وضع العراء التام. وعبارة impuris تعني في اللاتينية: غير نقي.، وكذلك فاحش، وقذر. (المترجم)

شيللر؛ أو بوّاق ساكينغن[٦٨] الأخلاقي . . . .

دانتي؛ أو الضبع الذي يؤلف أشعارا داخل الحفائر.

كنط؛ أو *cant* -الرياء- كطبع محتضن بالعقل.

فيكتور هوغو؛ أو المنارة على ساحل بحر من اللغو.

لِيست؛ أو مدرسة الأسلوب الجاري -وراء الإناث.

جوج صاند؛ أو *lactea ubertas*[٦٩]، بعبارة أخرى: البقرة الحلوب بـ«أسلوب جميل».

ميشليه؛ الحماسة مشمّرةً.

كارليل؛ أو تشاؤم غذاء عسير الهضم.

جون ستوارت ميل؛ أو الوضوح الجارح.

الأخوان غونكور؛ أو أجاكس وأجاكس في الصراع ضد هوميروس.[٧٠] - موسيقى أوفنباخ.

---

(٦٨) إشارة إلى أوبيرات شهيرة بين الألمان في ذلك العصر، مستوحاة من قصيدة لجوزيف فيكتور فون شيفل (J.V. von Scheffel, *der Trompeter von Säckingen*). تصف القصيدة ملحمة بطل شعبي تقدمه كفارس ذي طبع مرِح، مبوّق على الدوام وطريف.

(٦٩) أنظر *Journal des Goncourt* II, 25, BN: «كان في طبعها ثقل، وبرودة، وشيء من حالة نعاس طفيف لحيوان مجترّ.» أو: «مدام صاند، سفينكس مجتر، بقرة أبيس.». أنظر أيضا: "*Livii lactea ubertas*" («الغزارة الحليبية لتيت ليف»، عبارة لكينتيليان)

(٧٠) أنظر *Journal des Goncourt* III, 80: «. . . وقد اتخذت أعذب نبرة ممكنة كي أؤكد بأنني أجد أكثر متعة في قراءة هوغو مما أجد في هوميروس.»

زولا؛ أو «الذي يجد متعة في نتونته».

٢

رينان. اللاهوت، أو فساد العقل عن طريق «الخطيئة الأصلية» (المسيحية). الشاهد رينان، الذي كلما غامر بإجابة عمومية بنعم أو لا، يخطئ ضربته بانتظام مؤلم.[٧١] يرغب على سبيل المثال في الربط بين العلم والنبالة [*](*science et noblesse*)؛ غير أن العلم ينتمي إلى فضاء الديمقراطية، وهذا أمر لا يخفى عن أحد. يرغب، بشيء غير قليل من الطموح، أن يكون ممثلا لأرستقراطية عقلية،[٧٢] وفي الآن نفسه يجثو على ركبتيه–وليس على ركبتيه فقط– أمام المذهب النقيض ممثلا في

---

(٧١) ترد هذه الجملة على هذه الصياغة في W II, 3, 9: «ما الذي يجعل عقلا على تلك الدرجة من التهذيب و(اللين) المرونة مثل رينان، كلما انساق إلى غرائزه إلا وأخطأ ضربته؟ يغدو لاهوتيا، أنثويا على نحو سخيف؟»

(*) بالفرنسية في النص الأصلي.

(٧٢) «. . . أن يكون ممثلا لأرستقراطية عقلية» ترد في W II 3,9: «. . . بمثابة القديس فرنسيسك للأرستقراطية العقلية». عن مفهوم «الأرستقراطية العقلية» لرينان أنظر *Journal des Goncourt, "Diner chez Magny"*، من ضمن محادثات «مأدبات العشاء عند مانيي» الشهيرة، وبصفة خاصة الحوارات الفلسفية لرينان التي اطلع عليها نيتشه مترجمة إلى اللغة الألمانية في «إرنست رينان: محادثات فلسفية ومقتطعات» ترجمة كونراد فون زديكاور–لايبزغ ١٨٧٧ (مقاطع يعلّم عليها نيتشه في الكتاب الموجود بـ«مكتبة نيتشه». وهناك ضبف آخر في تلك «المأدبات» الشهيرة هو فلوبير الذي يشاطر رينان نظريته القائلة بنخبة من العلماء ينبغي أن تحكم فرنسا والعالم بأكمله، كما يتضح من رسائله إلى جورج صاند، التي كان نيتشه مطلعا عليها هي أيضا.

إنجيل الضعفاء... ما نفع كل استعراضات الحرية الفكرية والحداثة، وعروض السخرية، وتمارين المرونة اللدنة عندما يظل المرء بكل جوارحه وأحشائه مسيحيا كاثوليكيا، بل وكاهنا أيضا! يضع رينان كل فنه الإبداعي، تماما مثل يسوعي وكاهن متقبل اعترافات، في أسلوب الاستمالة؛ ومنحاه الذهني لا يخلو من تلك الابتسامة العريضة المحنّطة على وجوه الخوارنة والكهنة «الطيبين»،- وككل الكهنة يغدو حقا خطيرا عندما يعلن المحبة. ولا أحد يمكن أن يضاهيه في التعبد على نحو خطير قاتل (٧٣)... هذا العقل الريناني، عقل يبيد الأعصاب، كارثة، خاصة على فرنسا البائسة، المريضة، التي تعاني من وهن في الإرادة.-

٣

سانت بوف. لا أثر للرجولة؛ كله ضغينة تجاه العقول الفحلة. يهيم هنا وهناك، رقيقا، فضوليا، ضجِرا، متلصصا؛- كائن أنثوي في الجوهر، برغبة انتقامية أنثوية و بشبقية أنثوية. وهو، كخبير نفساني، عبقرية اغتياب له معين لا ينضب من الوسائل لذلك الغرض، ولا أحد يفوقه في إتقان دس السموم داخل المديح. عامّي في غرائزه العميقة، وله في ضغينته قرابة

---

(٧٣) «... يظل مسيحيا ومؤنثا! وكل أساليب الرهافة لديه هي أساليب رقة كاهنيّة أنثوية- شيء يكاد يقشعر له الرجل. حقد رينان ليس من النوع الأصيل، وهو بريء، وغير مضر على أية حال: لكنه يعرف كيف يعبد بطريقة قاتلة. W II, 3, 9-11

إنجيل الضعفاء. . . ما نفع كل استعراضات الحرية الفكرية والحداثة، وعروض السخرية، وتمارين المرونة اللدنة عندما يظل المرء بكل جوارحه وأحشائه مسيحيا كاثوليكيا، بل وكاهنا أيضا! يضع رينان كل فنه الإبداعي، تماما مثل يسوعي وكاهن متقبل اعترافات، في أسلوب الاستمالة؛ ومنحاه الذهني لا يخلو من تلك الابتسامة العريضة المحنّطة على وجوه الخوارنة والكهنة «الطيبين»،- وككل الكهنة يغدو حقا خطيرا عندما يعلن المحبة. ولا أحد يمكن أن يضاهيه في التعبد على نحو خطير قاتل[٧٣]. . . هذا العقل الريناني، عقل يبيد الأعصاب، كارثة، خاصة على فرنسا البائسة، المريضة، التي تعاني من وهن في الإرادة.-

٣

سانت بوف. لا أثر للرجولة؛ كله ضغينة تجاه العقول الفحلة. يهيم هنا وهناك، رقيقا، فضوليا، ضجِرا، متلصصا؛- كائن أنثوي في الجوهر، برغبة انتقامية أنثوية و بشبقية أنثوية. وهو، كخبير نفساني، عبقرية اغتياب له معين لا ينضب من الوسائل لذلك الغرض، ولا أحد يفوقه في إتقان دس السموم داخل المديح. عامّي في غرائزه العميقة، وله في ضغينته قرابة

(٧٣) «. . .يظل مسيحيا ومؤنثا! وكل أساليب الرهافة لديه هي أساليب رقة كاهنيّة أنثوية- شيء يكاد يقشعر له الرجل. حقد رينان ليس من النوع الأصيل، وهو بريء، وغير مضر على أية حال: لكنه يعرف كيف يعبد بطريقة قاتلة. W II, 3, 9-11

بروسو: رومانسي *بالتالي*؛- إذ، خلف كل رومانسية تُكشّر وتتربص غريزة روسو الانتقامية. ثوري، لكنّ لجام الخوف يشده إلى التوسط الرصين؛ دون حرية أمام كل قويّ (الرأي العام، المؤسسة الأكاديمية، البلاط، وحتى بور روايال)؛ يشعر بالمرارة أمام كل عظيم في الإنسان وفي الأشياء، أمام كل ما له إيمان بنفسه؛ شاعر ونصف أنثى بما يكفي لكي يشعر في كل عظيم بسلطة؛ منكمش على الدوام، تماما مثل تلك الدودة الشهيرة، لأنه على الدوام يشعر بنفسه مداسا. ناقدا، دون معايير، دون نقطة ارتكاز، ودون متانة في الموقف، له لسان الداعر الكوسموبولوتي، لكن دون الجرأة التي تجعله يقر بدعارته. مؤرخ دون فلسفة، ودون *سلطة* النظرة الفلسفية؛- من هنا رفضه الإدلاء بأي حكم في المسائل الأساسية، وذلك التلويح بـ«الموضوعية» قناعا. لكن سيكون له سلوك مغاير تماما بشأن كل الأشياء التي يكون فيها للذوق الرفيع والمرهف السيادة الأولى: هنا يكتسب الشجاعة الكافية لكي يكون هو، ولكي يجد متعة في نفسه؛ هنا يغدو *معلما بارعا*-ومن بعض الجوانب شكلا أوليا لبودلير.(٧٤)

---

(٧٤) عن علاقة سانت بوف ببودلير أنظر هذه الجملة التي يقتطعها نيتشه من *Oeuvres Posthumes de Beaudelaire* (*«الأعمال المنشورة بعد الوفاة»*) الواردة في دفاتر VIII ,II, 231: «صحيح ما تقولونه؛ إن شعري مرتبط بشعركم. لقد تذوقت من نفس الثمرة المرة، الممتلئة رمادا في الحقيقة.»

٤

محاكاة المسيح[٧٥] (*imitatio Christi*) واحد من تلك الكتب التي لا أمسك بها في يدي دون مقاومة فيزيزلوجية: إنه يفوح بعطر الأنثى الخالدة، الذي ينبغي على المرء أن يكون فرنسيا كي يستسيغه -أو فاغنريا. . . لذلك القديس طريقة في الكلام عن الحب يثير الفضول حتى لدى الباريسيات. وقد قيل لي أن أوغست كونت الذي أراد أن يقود فرنسيّيه نحو روما على الطريق الملتوية للعلم، قد استوحى إلهامه من هذا الكتاب. ولا يسعني إلا أن أصدق ذلك: «دين القلوب». . .

٥

ج-إليوت.

لقد تخلصوا من إله المسيح، وأصبحوا يعتقدون أنه ينبغي عليهم الآن، وليس دون مبرر إذنْ، أن يظلوا متمسكين بالأخلاق المسيحية: إنه استنتاج *إنكليزي*، ونحن لا نريد أن نلومهم على الأخلاق الأنثوية على المنوال الإليوتي. ففي إنكلترا، يجب على المرء مقابل كل تحرر صغير من اللاهوت، أن يعيد الاعتبار لنفسه بتبني تعصب أخلاقي مفزع. إنها الكفارة التي تدفع هناك

---

(٧٥) «محاكاة المسيح» أو «خلَف المسيح» كتاب ديني من القرن الخامس عشر، ظهر في البداية دون ذكر للمؤلف. ثم اختلفت الآراء حول مؤلفه الحقيقي لمدة طويلة من الزمن حتى استقر رأي أغلب المختصين أخيرا على الكاهن الألماني الهولندي توماس أ كامبيس. أحد الكتب الأكثر انتشارا وشعبية في العالم المسيحي الأوروبي حتى القرن التاسع عشر. (المترجم)

ثمنا لذلك التحرر الصغير. أما لدينا، نحن الآخرون، فإن الأمور تختلف تماما. عندما نتخلى عن الديانة المسيحية يكون علينا أن نتخلى أيضا عن *الحق* في الأخلاق المسيحية. غير أن هذا الأمر ليس بديهيا على الإطلاق: وعلى المرء أن يظل يكرر طرح هذه المسألة إلى النور، رغم أنف الرؤوس المسطحة الإنكليزية. إن المسيحية نظام ورؤية **كلية** ومتكاملة للعالم، إن نحن أنتزعنا فكرة أساسية منها: الإيمان بالله، نكون قد حطمنا الكل: لن يكون بين يدينا بعدها من شيء ضروري. تفترض المسيحية أن الإنسان لا يعرف، ولا يمكنه أن يعرف ما هو خير بالنسبة له وما هو شر؛ إنما هو يؤمن بالله الذي له وحده العلم بذلك. الأخلاق المسيحية فرض؛ منبعها متعال، وهي تقع فوق كل نقد، وفوق كل حق في النقد، ولا تحتوي إلا على الحقيقة، إذا كان الله هو الحقيقة؛- إنها تستقيم وتنهار مع الإيمان بالله. إن كان الإنكليز يعتقدون فعلا بأنهم يعرفون من لدن أنفسهم، وبموجب «حدس»، ما هو خير وما هو شر، وإن كانوا يعتقدون تبعا لذلك أنهم لم يعودوا بحاجة إلى المسيحية كضمان لقيام الأخلاق، فإن هذا في حد ذاته يمثل نتيجة لسيادة الحكم القيمي المسيحي، والتعبير الواضح عن قوة وعمق هذه السيادة، بما يجعل منبع الأخلاق الإنكليزية يتوارى بين طيات النسيان، وبما يجعل الناس لا يشعرون البتة بضرورة ارتباطها الوثيق بمبرراتٍ لحقّها في الوجود. فالأخلاق بالنسبة للإنكليزي ما زالت لا تمثل أي إشكال بعد.

٦

جـورج صـانـد. قـرأت الـنـصـوص الأولـى مـن رسـائـل مسافر[٧٦]، وككل ما يكون منبعه روسو، وجدتها مزيفة، مفتعلة، فقاعية وموغلة في المبالغة. لا أطيق هذا الأسلوب السجّادي المزركش، تماما كما لا أطيق الطموح العاميّ إلى المشاعر السخيّة. وأسوأ من كل شيء حقا هو ذلك التغنج الأنثوى في هيأة ذكورية، مع سلوك ولد غير مؤدب. بأية برودة كانت تفعل ذلك، تلك الفنانة التي لا تُحتمل. كانت تعبئ نفسها مثل ساعة،-ثم تكتب[٧٧]... باردة مثل هوغو، مثل بلزاك، مثل كل الرومانسيين حالما يشرعون في النظم! وبأي غرور كانت تستعرض نفسها وهي تكتب، تلك البقرة الولود الكاتبة التي تحمل شيئا من الطبع الألماني بالمعنى السيء في داخلها، مثل معلمها روسو، وهو أمر لم يكن ليُكتب له أن يغدو ممكنا إلا بسبب الانحطاط الذي طال الذوق الفرنسي! -لكن رينان معجب بها[٧٨]...

---

(٧٦) نشرت سنة ١٨٣٧. وتجدر الإشارة إلى أن نيتشه قد اقتنى الترجمة الألمانية لـ«الأعمال الكاملة» لجورج صاند في العاشر من شهر فبراير ١٨٧٦ (مكتبة نيتشه).

(٧٧) أنظر شهادة تيوفيل غوتييه الواردة في Journal des Goncourt II, p. 146 «وأخيرا، أنتم تعرفون ما الذي حدث لها. شيء فظيع! ذات يوم أنهت كتابة رواية لها على الساعة الواحدة صباحا... وشرعت في كتابة رواية أخرى في الليلة نفسها... إن النسخ وظيفة قارة لدى مدام صاند...»

(٧٨) عن إعجاب رينان بجورج صاند نقرأ في *Journal des Goncourt* II, 112: «إنني أجد مدام صاند أكثر واقعية من بلزاك... لديها تكو

٧

قيم أخلاقية للخبراء النفسانيين. الامساك عن بسيكولوجيا الباعة المتجولين. عدم المعاينة من أجل المعاينة. تنجر عن ذلك رؤية خاطئة و حَوَلاً، شيئا مرغَما ومبالِغا. التجربة *لرغبة* في التجربة فحسب، أمر لا طائل من ورائه. لا ينبغي على المرء أن يكون مركزا نظره على نفسه خلال اختبارالأشياء؛ فكل نظرة تتحول هنا إلى «عين سوء». وكل خبير نفساني بالطبع يتلافى غريزيا النظر من أجل النظر؛ والأمر نفسه ينطبق على الرسام الأصيل. فهو لا يعمل *طبقا للطبيعة*،- بل يدع لغرائزه، لحجرته السوداء عمل التصفية والتعبير عن «الحالة»، وعن الطبيعة، وعن «المُعاش»... إنه لا يدرك سوى *العمومي* والحوصلة والنتيجة، ولا يعرف ذلك الاستنتاج الاعتباطي المستقى من الحالة الخاصة. ما الذي سيحصل إذا ما عمل المرء على غير هذا النحو؟ إذا ما توخينا، على نحو الرومانسيين الباريسيين مثلا، ممارسة بسيكولوجيا الباعة المتجولين، كبيرها وصغيرها؟ التلصص على الواقع، والعودة مساء بحفنة من الغرابات... لكن يكفي أن نرى أية حصيلة ستكون للمرء من وراء ذلك في النهاية: ركام من الألوان الملطّخة، أو فسيفساء في أحسن الأحوال، وفي كل الأحوال خليط ملفق قلق بألوان صارخة. أسوأها على الإطلاق

= الصبوات عامة شاملة.... بعد ثلاثمائة سنة سيظل الناس يقرؤون مدام صاند...» هذه الفقرة من محادثات إحدى «المأدبات» نجدها معلّما عليها في نسخة مكتبة نيتشه، مثلها مثل الجملة التالية: «رينان: -مدام صاند أعظم فناني عصرنا الحاضر، والموهبة الأكثر حقيقية!»

ما توصّل إليه الأخوان غونكور، اللذان لا يركّبان ثلاث جمل متحاذية لا تصاب منها العين-عين الخبير النفساني- بالألم.(٧٩)

الطبيعة منظورا إليها من وجهة الفن ليست نموذجا. إنها تبالغ، وتشوه، وتحدث ثغرات. فالطبيعة هي *الصدفة*. والرسم «طبقا للطبيعة» يبدو لي علامة سيئة: إنه يفشي استسلاما وضعفا وتسليما قدَريّا،- هذا الانبطاح أمام *les petits faits*(*) -الوقائع الصغيرة- لايليق بالفنان *المكتمل*. رؤية *الشيء كما* هو من مشمولات نوعية أخرى من العقول؛ العقول الواقعية *المنافية للفن*. على المرء فقط أن يعرف من هو...

٨

عن بسيكولوجيا الفنان.(٨٠) لكي يكون هناك فن، ولكي

---

(٧٩) يبدو أن الفقرة بكليتها موجهة ضد الأخوين غونكور. فعبارة *d'apres nature* التي وردت باللغة الفرنسية في النص، وهي مأخوذة من مقدمة الـ«جورنال»: «... لم نغْد بعد سيديْن على أدوات عملنا، أو أننا لم نكن سوى محرّريْن ناقصيْن لـمدونة *طبقا للطبيعة*.»

(*) بالفرنسية في النص الأصلي.

(٨٠) الفقرات التالية: من ٨ إلى ١١ كانت بداية الفصل الذي يحمل عنوان «عن *بسيكولوجيا الفنّ*» من مخطط كتاب «*إرادة القوة*» W II, 9. وقد أعلن نيتشه عن هذا الفصل في كتاب «*قضية فاغنر*» الذي كان بصدد تأليفه في شهر ماي من سنة ١٨٨٨. وبعد التراجع عن مشروع كتاب «إرادة القوة» أدرج نيتشه هذه الفقرات الأربعة بحذافيرها تقريبا ضمن كتاب «غسق الأوثان». غير أن الصياغة الأولية لهذه الفقرات المتضمنة في دفاتر WII5، والتي كانت تحت عنوان «عن تكوّن الفنّ» ويتضمن بعض الاختلافات من جهة المحتوى.

يكون هناك عمل جمالي ما ونظرة جمالية، لا بد من توفر شرط فزيزلوجي لا محيد عنه: النشوة. لا بد أن تكون النشوة قد رفعت من وتيرة استثارة الآلة بكليتها؛ من دون ذلك لا يمكن إنجاز أي فن. وكل أنواع النشوة، مهما اختلفت أشكال المثيرات، تمتلك القدرة على ذلك، وبصفة أخص النشوة الناجمة عن الإثارة الجنسية؛ الشكل الأكثر قدما والأكثر بدائية من بينها جميعا. ولا تختلف عنها في ذلك أيضا النشوة المتأتية عن كل الرغبات الكبرى، وكل الأحاسيس القوية؛ نشوة الاحتفال، ونشوة المبارزة، والأعمال البطولية، والانتصار، وكل الأفعال القصووية؛ نشوة الشناعة؛ نشوة التدمير؛ النشوة التي تثيرها تبدلات الطقس، مثل نشوة الربيع؛ أوتلك الناجمة عن مفعول المخدرات؛ وأخيرا نشوة الإرادة، نشوة إرادة عرفت طول تراكم وتضخم.

إن الأمر الأساسي في النشوة هو ذلك الشعور بتفاقم الطاقة وزخم الامتلاء. وبدافع من هذا الشعور نضفي من أنفسنا على الأشياء؛ نجبرها على أن تتسلم منا، بل نغتصبها- وتسمى هذه العملية *مثْلنة*. ولندع عنا فكرة مسبقة متداولة؛ إن المثلنة لا تتمثل كما يظن الاعتقاد الشائع في أننا ننقّي الأشياء ونخصم منها كل صغير وثانوي، بل إن التركيز بصفة هائلة على إبراز الخاصيات الأساسية هو العامل الحاسم في جعل غيرها من الخاصيات يتوارى ويضمحل.

٩

يثري المرء في هذه الحالة كل شيء من زخمه الخاص: كل ما يرى، وكل ما يريد، يراه مكتنزا، محتقنا، قويا، ممتلئا بفائض من الطاقة. يُجري المرء، وهو في هذه الحالة، تحويلا على الأشياء إلى أن تغدو مرآة لقوّته؛-إلى أن تصبح انعكاسات لكماله. هذا التحول *المرغَم* إلى صورة للكمال-إنما هو الفن. وكل شيء، بما في ذلك ما ليس هو، يصبح مع ذلك موضوع متعة يجدها في نفسه: في الفن يستمتع الإنسان بنفسه ككمال.

سيكون من حقنا أن نتمثل حالة معاكسة؛ حالة لافنيّة نموذجية للغرائز؛ نمط وجود يُفقر كل الأشياء، ويضعفها، ويصيبها بالشُحاب. والتاريخ يعج فعلا بمثل هذه النماذج المناقضة للفن، بمثل هؤلاء الجوعى الذين لا يعرفون شبعا من الحياة، أولئك الذين يستهلكون الأشياء بدافع الفاقة، يلتهمونها ولا يملكون سوى أن يجعلوها *أكثر هزالا*. ولنا مثال عن ذلك في حالة المسيحي الحق، مثْل باسكال. مسيحي يكون في الوقت نفسه فنانا! أمر لا يمكن *أن يحصل*... ولن يكون المرء صبيانيا كي يعترض عليّ برفائيل، أو بأي مسيحي تجانسي من القرن التاسع عشر: رفائيل كان يقول نعم، ورفائيل كان *يفعل* نعم، وبالتالي فرفائيل ليس مسيحيا...[٨١]

---

(٨١) الصياغة الأولية للفقرتين ٨ و٩ كما يرد في دفاتر WII, 5, 164: «عن تكوّن *الفن*». - إن الشرط الأولي لكل فن (لكل نشاط فني)، من وجهة النظر الفيزيولوجية، ولكل عمل جمالي ونظرة جمالية هو *النشوة*. كل فن يعود إلى حالات تكون النشوة قد رفعت فيها من وتيرة استثارة الآلة =

ماذا تعني ثنائية *الأبولوني والديونيزي*(٨٢) التي أدخلتها إلى

= بكليتها: /قد تكون نشوة الإثارة الجنسية/ أو نشوة الشناعة/ أو نشوة المخدرات/ أو نشوة الربيع/ أو الحنق/ أو الرغبة العاتية/ أو البطولة/ والمبارزة/ أو نشوة العين: الرؤية/ وفي الموسيقى والشعر، تكون الغبطة / وعلى نحو دقيق للغاية في التراجيديا تكون الشناعة/ - الإثارة القصوى لواحد من الحواس في حالة السكر/ وعدوى طاقات الاستثارة المتأتية من دوائر نشوة مجاورة. . . / إن *الأمر الجوهري في النشوة* هو ذلك الشعور بتفاقم الطاقة وزخم الامتلاء -يغدق المرء على الأشياء من هذا الزخم، يعني أنه يؤمثلها. والأمثلة لا تعني تنقية الأشياء من كل الملامح الوضيعة والحقيرة، بل *إبرازا* للسمات الاساسية بطريقة هائلة تجعل غيرها من السمات يتوارى ويضمحل/ يعمم المرء النشوة على كل شيء من فائض امتلائه الخاص: يرى كل شيء ممتلئا، متوترا، محتقما طاقة، أي أننا نحول الأشياء إلى حالة تصبح معها مجرد انعكاس لأنفسنا./يمكننا أن نتصور بدقة عملا عملا *منافيا للفن* يفقر كل الأشياء ويضعفها ويصيبها بالشُّحاب: من هم هؤلاء *المعادون للفن/ نقيضوا الفنان*، هؤلاء الجوعى الذين يلتهمون الأشياء ويجعلونها أكثر هزالا؟/- إنهم المتشائمون النموذجيون: متشائم يكون فنانا ؛ إن ذلك هو عين التناقض/ مشكلة: لكن هناك فنانون متشائمون! . . .»

(٨٢) أ- أنظر «مولد التراجيديا» بخصوص المقابلة بين الأبولوني والديونيزي. أنظر أيضا دفاتر W II, 5 حيث يوجد عدد من الملاحظات عن ذلك العمل («مولد التراجيديا») من شهري مارس وأبريل ١٨٨٨ ترد قبل الفقرة التي سنوردها لاحقا.(م)

ب- الصياغة الأولية للفقرتين ١٠ و١١ كما ترد في دفاتر W II, 5, 165: «ماذا تعني المقابلة بين «الجيونيزي» و«الأبولوني»، منظورا إليهما كصنفين من *النشوة*؟ يستثير الأخير العين في المقام الأول، بما يجعلها تكتسب القدرة على الرؤياز/ والأول يستثير مجمل نظام/جهاز الأحاسيس بما يجعله يستنهض قدرات التمثيل والتغيير والتحويل، والأداء المسرحي =

علم الجمال، منظورا إلى كليهما كصنفين من النشوة؟ تستفز النشوة الأبولونية انفعال العين في المقام الأول، بما يجعلها تكتسب الطاقة التي تنجم عنها الرؤيا. فالرسام والفنان البلاستيكي والشاعر رؤاة بامتياز. أما في الحالة الديونيزية فإن مجمل جهاز الأحاسيس هو الذي تتم إثارته وتهييجه، بما يجعله يفرغ كل

= والرقص.../ الأمر الأساسي في ذلك هو القدرة على التحول/التحويل، بشكل يجعل الإحساس المعبر عنه بسهولة يمر مباشرة إلى التواصل في الواقع.../ وليست الموسيقى بنحو ما سوى الشكل *المجرد* لذلك التعبير الأكثر ثراء عن تفريغ الأحاسيس... رواسب من التفخيم الانفعالي المسرحي: لقد تم تجميد عدد من الحواس، وأولها الحاسة العضلية (نسبيا على الأقل)، مما يجعل الإنسان لا يحاكي و يستعرض كل ما يحس به... ومع ذلك فإن هذه الحالة الأولى هي الحالة الديونيزية العامة الحقيقية: الموسيقى هي كثافة توتر يتم بلوغها ببطء على حساب بقية الفنون الديونيزية / وبين الممثل(يعني الراقص وممثل الإيماءات) والموسيقي هناك علاقة قرابة من حيث الأصل وهما شيء واحد في الحقيقة؛ لكنهما على غاية من التخصص يجعل الواحد منهما لا يفهم الآخر/ بينما اندغم الشاعر على العكس من ذلك في الموسيقي: وهما في ذاتهما شيء واحد/ المهندس المعماري يجسد [منفعة/ نفعية] عمل إرادة كبرى.في أشكاله الأكثر إقناعا والأكثر أبهة. بلاغة روح [تعبر عن نفسها] في خطوط هائلة... تجد الشهوة الشبقية والجنس نفسهما مدمجين داخل النشوة الديونيزية: ولا يغيبان داخل الأبولونية أيضا... لكن لابد أن هناك فارقا في الوتيرة بين الحالتين. إن *الهدوء اللامتناهي لبعض الأحاسيس الانتشائية* (بصفة أدق: تباطؤ الإحساس بالزمن وبالمكان) ينعكس بسهولة في رؤية الحركات والأفعال الروحية الأكثر هدوء. ويعبر الأسلوب الكلاسيكي بصفة اساسية عن هذا الهدوء وهذا التبسيط والاختزال والتكثيف- *الإحساس الأرقى بالقوة* يتكثف داخل النمط الكلاسيكي. ردة فعل بطيئة: وعي عظيم: ما من شعور بالصراع: / نشوة *الطبيعة*...

شحناته التعبيرية دفعة واحدة، ويدفع في آن واحد بمجمل قدراته على التصوير والمحاكاة والتغيير والتحويل، وكل أنواع التجسيدات الإيمائية والتمثيلية. ويظل الأساسي في ذلك كله هو سهولة التحول، والعجز عن عدم رد الفعل (أمر شبيه بما يحدث لدى بعض الهستريين الذين يستجيبون لكل إشارة وينبرون لكل دور). إنه من غير الممكن للديونيزي أن لا يفهم أي إيحاء، كما لا تفوته أية إشارة من الأحاسيس، وهو يتمتع بأرقى درجات الفهم والحدس الغريزيين، ويمتلك أرقى درجات القدرة على التواصل. لديه القدرة على تقمّص كل شكل وولوج كل إحساس: إنه يتحول دون انقطاع. والموسيقى كما نفهمها اليوم هي الأخرى انفعال وتفريغ كليّيْن للأحاسيس، لكنها مع ذلك لا تعدو كونها بقايا من عالم تعبيرات أحاسيسية أوسع بكثير؛ مجرد *رواسب* من التفخيم الانفعالي المسرحي (histrionismus) الديونيزي. وبغاية أن تكون الموسيقى ممكنة كفن خصوصي، قد تم تجميد عدد من الحواس، وأولها الحاسة العضليّة (بصفة نسبية على الأقل؛ ذلك أن كل إيقاع يخاطب عضلاتنا إلى حد ما)، مما يجعل الإنسان لا يحاكي ويستعرض جسديا كل ما يحس به، بصفة مباشرة وفورية. ومع ذلك فإن *ذلك* هو ما يمثل الحالة الديونييزية العادية، الحالة البدائية على أية حال؛ والموسيقى هي «التمييز» الخصوصي لهذه الحالة، تمييز قد تم التوصل إليه ببطء على حساب بقية المَلَكات المجاورة.

١١

بين الممثل وممثل الإيماءات والراقص والموسيقي والشاعر قرابة أساسية من حيث الغرائز، وهم يمثلون كلا موحدا، لكنهم أصبحوا شيئا فشيئا ذوي اختصاصات متنوعة، وافترقوا- إلى حد التعارض والتناقض حتى. وقد ظل الشاعر لمدة أطول قريبا من الموسيقي، والممثل من الراقص. أما المهندس المعماري فهو لا يجسد حالة ديونيزية ولا أبولونية: لديه يكون عمل الإرادة الكبرى، الإرادة التي تحول الجبال، ونشوة الإرادة، هي التي تطلب أن تكون فنا. ولقد كان ذوو السلطان الأكبر على الدوام هم ملهمو المهندسين المعماريين؛ فالمهندس المعماري كان على الدوام مسخرا لإملاءات القوة. الأثر المعماري ينبغي أن يكون تجسيدا مرئيا للفخر والانتصار على الثقل، ولإرادة القوة؛ فالهندسة المعمارية نوع من بلاغة القوة في أشكال تكون تارة مقنعة، بل وملاطِفة، وتارة آمرة فحسب. وإنّ أرقى شعور بالقوة والأمان يعبر عن نفسه في الأثر المعماري ذي *الطراز العظيم*. والقوة التي لم تعد بحاجة إلى حجج، والتي تزدري بالإعجاب؛ تلك التي لا تجيب بسهولة، والتي لا تشعر بوجود شهود من حولها، والتي تحيا دون وعي بوجود مناهضين لها، تلك التي تقطن ذاتها في هدوء وسكينة، قدَريةً، قانونا من بين القوانين، *تلك* هي التي تتكلم عن نفسها طرازا عظيما.

١٢

قرأت سيرة توماس كارليل، تلك المهزلة اللاإرادية

واللاواعية؛ ذلك التأويل الأخلاقي البطولي لحالات إصابة بعسر الهضم. كارليل، رجل الكلمات والمواقف الصلبة، خطابي بحكم *الحاجة*، والذي يزعجه على الدوام الطموح إلى إيمان قوي والشعور بالعجز عن ذلك(مثالٌ في ذلك للرومانسي النموذجي!). إن رغبة التوق إلى إيمان قوي *ليس* دليلا على الإيمان القوي، بل على العكس من ذلك. *فإذا ما كان المرء حائزا عليه*، فسيكون بوسعه عندها أن يمنح نفسه ترف الشك؛ سيكون المرء واثقا بما فيه الكفاية، ومتينا بما فيه الكفاية، ومرتبطا بما فيه الكفاية كي يحق له ذلك. يحاول كارليل أن يبنّج شيئا في داخله عن طريق «فورتيسيمو» النبرة العالية جدا، التي يعبر بها عن إكباره لذوي الإيمان القوي، وعن طريق حنقه على من هم أقل سذاجة: إنه *بحاجة* إلى ضجة. عدم *نزاهة* قارة تجاه نفسه تتخذ شكل الصبوة لديه؛ تلك هي ميزته الخاصة، وذلك هو ما يجعله وسيظل يجعله مهمّا. وبالفعل فهو يحاط بالإعجاب في إنكلترا بسبب نزاهته،... لكن تلك خصلة إنكليزية. وهي، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الإنكليز شعب الـ"cant"–الرياء الكامل، أمر طبيعي أيضا، وليس مفهوما فحسب. وكارليل في الحقيقة ملحد إنكليزي مسعاه ومنتهى متعلَّقِه في أن لا يكون كذلك.

١٣

إيمرسن. إنه أكثر تنويرا، وأكثر تهواما، وأكثر تنوعا، وأكثر رهافة من كارليل، وأكثر سعادة على وجه الخصوص... ذلك

الذي لا يغتذي إلا من الرحيق ويدع غريزيا كل ما هو عسير الهضم في الأشياء. وهو مقارنة بكارليل، رجل ذو ذوق رفيع. وكارليل الذي يحبه هو الذي يقول عنه مع ذلك: «إنه لا يقدم *لنا* ما يكفي من الغذاء»؛ وهو كلام قد يكون مصيبا بالفعل، لكن ليس على حساب إيمرسن على أية حال. يتمتع إيمرسن بذلك المرح المنعش ذي المستوى الذهني الرفيع، الذي يحبط كل جدية(جافة)؛ إنه لا يعرف مطلقا كم هو عجوز الآن، وكم سيظل شابا من بعد. بإمكان إيمرسن أن يقول عن نفسه بعبارة لوب دي فيغا (Lope de Vega):

"yo me sucedo a mi mismo"(*).

يستطيع عقله أن يجد دوما سببا لأن يكون راضيا، بل وممتنا أيضا؛ ويلامس في بعض الأحيان حافة التعالي المرح لرجل محترم عائد للتو من لقاء غرامي *tanquam re bene gesta*(**). بينما لسان حاله يردد ممتنا:

"Ut desint vires, tamen est laudanda voluptas."(***)

(*) «إنني وريث نفسي.»

(**) «كما لو أن العملية قد تمت بنجاح»

(***) اقتباس من جملة لأوفيد مع شيء من التحوير الساخر الطريف: *"Ut desint vires, tamen est laudenda voluntas"* «ولنفترض أن قواي تخونني، فإن النوايا تظل محمودة مع ذلك» لتصبح في جملة نيتشه: «ولنفترض أن قواي تخونني، فإن المتعة تظل محمودة مع ذلك.» (م)

ضد داروين. في ما يتعلق بمقولة «الصراع من أجل الحياة» الشهيرة، يبدو لي في الأثناء أن المسألة أقرب إلى الافتراض منها إلى الواقعة المثبَتة. يمكن لهذا الأمر أن يحدث، لكن كاستثناء، إذ أن الطابع العمومي للحياة لا يتأسس على الحاجة وعلى وضع المجاعة، بل بالأحرى على الثراء والوفرة، وحتى على التبذير العبثي؛ - وحيثما يكون هناك صراع، فإن المرء يكون في صراع من أجل القوة... لا ينبغي أن نخلط بين مالتوس[٨٣] والطبيعة. لكن لنفترض أن هذا الصراع موجود -وذلك ما يمكن أن يحدث بالفعل-، فإنه سيجري في الاتجاه المناقض لما تنتظره المدرسة الداروينية ولما يمكننا أن ننتظره على غرارهم: أي على حساب الأقوياء وذوي الامتياز وحالات الاستثناء السعيدة. إن الأنواع لا تتطور باتجاه الكمال: فالضعفاء ما انفكوا يفرضون سيادتهم على الأقوياء، ذلك أنهم يمثلون العدد الأكبر، وهم *أكثر فطنة* أيضا... لقد نسي داروين العقلَ (وهذه خاصية إنكليزية!)؛ *الضعفاء أكثر عقلا*... لا بد أن يكون المرء في حاجة إلى عقل كي يكتسب عقلا؛ كما أن المرء يفقده عندما لا يكون بحاجة إليه. والذي يكون ذا قوة يفرّط في العقل («دعه يضمحل»، يقول الألمان اليوم، «وسيظل لنا الرايش»[٨٤]...) أفهم من وراء

---

(٨٣) توماس روبرت مالتوس مؤرخ وباحث في مجال الاقتصاد السياسي والاجتماعي. عرف بنظريته الشهيرة حول التكاثر السكاني التي غدت تحمل إسمه في ما بعد.(م)

(٨٤) إشارة إلى استعمال وارد في نشيد لوثر الشهير: («قلعة حصينة هو ربنا»). =

العقل، كما يمكنكم أن ترون، الحذر، والصبر، والحيلة، والتستر، ودرجة عالية من التحكم في الذات، وكل ما هو تقنّع وخداع بهدف حفظ الذات (وإليها ينتمي جزء غير قليل مما يدعى بالفضيلة).

١٥

إفتاءُ خبير نفساني –Psychologen-Casuistic. –هذا إنسان عارف بأحوال البشر؛ لِم ينبغي عليه إذن أن يدرس البشر؟ لأنه يريد أن يكتسب بعض الامتيازات الصغيرة عليهم، أو الكبيرة أيضا– إنه كائن سياسي!... وهذا أيضا رجل عارف بأحوال البشر؛ وتقولون إنه لا يبتغي شيئا لنفسه من وراء ذلك، وأنه «غيريّ» كبير. لتنظروا مليا في الأمر! فلعله يبتغي امتيازا **أسوأ**: أن يشعر بنفسه متفوقا على الناس، وأن يكون له الحق في النظر إليهم من فوق، وأن يكف عن عدم تمييز نفسه عنهم. هذا «الغيريّ» محتقرٌ للبشر: أما ذاك الصنف الأول فهو النوع الأكثر إنسانية بالرغم مما يمكن أن توحي به المظاهر. فهو يضع نفسه موضع المساوي على الأقل، إنه يضع نفسه *داخلهم*.

١٦

الرهافة البسيكولوجية. يبدو لي أن الرهافة البسيكولوجية لدى الألمان قد أصبحت موضع سؤال، وذلك عن طريق سلسلة

= وبينما تعني عبارة «رايش» لدى لوثر «ملكوت الرب»، فإنها تستعمل هنا بمعنى الإمبراطورية الفيلهيلمية.

بأكملها من الحالات التي يصدني تواضعي عن تقديم قائمة مفصلة عنها. وبخصوص واحدة من تلك الحالات سيكون بوسعي أن أجد مناسبة كبرى لتقديم الحجة التي تدعم أطروحتي: لا أغفر للألمان أنهم وقعوا في الخطأ بخصوص كانط و«فلسفته الأبواب الخلفية» التي كان يمارسها، كما أسمي تلك الفلسفة؛- لم يكن ذلك نموذجا للنزاهة العقلية. أما الأمر الثاني الذي لا أحب سماعه فهو تلك الـ«و» الكريهة: فالألمان يقولون دوما: «غوته وشيللر»،-وأكبر خوفي أن يقولوا «شيللر وغوته»... أمازال الناس لا يعرفون هذا الـ شيللر؟ وهناك «واو» أسوأ أيضا؛ وعلى أية حال فإنني لم أسمع بأذني سوى أساتذة جامعيين يقولون «شوبنهاور وهارتمان»...

١٧

إن أكثر الناس عقلا، شريطة أن يكونوا الأكثر شجاعة، هم الذين يعيشون أكبر المآسي الأليمة: لكنهم، ولذلك السبب بالذات يُكبرون الحياة، لأنها تمنحهم الخصم الأكبر من صلبها.

١٨

عن **«الضمير الفكري»**[٨٥]- لا شيء يبدو لي اليوم أكثر ندرة من النفاق الحقيقي. وغالب ظنّي أن هذه الشجرة لا تتلاءم والهواء الناعم لحضارتنا الحالية. ينتمي النفاق إلى عصور الإيمان

---

(٨٥) يرد هذا المقطع في W II 6,36 ضمن فقرتين عن «الحداثة» و«الانحطاط»

القوي، حيث لم يكن المرء ليتخلى عن معتقده الأصلي حتى وهو يجد نفسه مرغما على تبني معتقد آخر. أما اليوم، فإن الإنسان يتخلى عن معتقده الأول، أو أنه، وذلك ما غدا أمرا معتادا أكثر من غيره، يتبنى معتقدا ثانيا إلى جانب الأول- وهكذا يظل المرء صادقا في كل الأحوال. لا أشك في أنه من الممكن اليوم أن يتواجد عدد أكبر من المعتقدات مما كان عليه الأمر في ما مضى: ومن الممكن، تعني أنه مسموح بذلك، مما يعني أنه غير مضر. من هنا سينشأ التسامح تجاه النفس. -إن التسامح تجاه النفس يسمح بتواجد العديد من القناعات، وبأن تتعايش هذه الأخيرة بسلام في ما بينها-وتتفادى، كما هو شأن العالم كله في يومنا هذا، أن تضع نفسها موضع التورط. لكن كيف يورط المرء نفسه اليوم؟ عندما يكون منسجما مع نفسه؛ عندما يسير بحسب خط مستقيم؛ عندما يكون له أقل من خمس وجوه؛ عندما يكون صادقا. . . لكنّ خشيتي كبيرة أن يكون الإنسان المعاصر على درجة من الرفاه تجعله غير قادر على تحمل بعض الأعباء؛ مما يجعل هذه الأعباء تندثر. كل شر صادر عن إرادة قوية-ولعله لا يوجد من شر دون إرادة قوية- ينحلّ ويُمسخ فضيلة داخل الهواء الرخو لحياتنا. . . إن العدد القليل من المنافقين الذين عرفتهم لا يفعلون سوى التظاهر بالنفاق: لقد كانوا، كما هو شأن كل واحد من عشرة في أيامنا هذه، مجرد ممثلين.

١٩

الجميل والقبيح. ليس هناك ما هو أكثر نسبية وأكثر محدودية من إحساسنا بالجمال. وإن كل من يريد أن يتمثله مجردا من المتعة التي يجدها الإنسان في الإنسان، يرى نفسه يفقد مباشرة الأرضية الصلبة التي يقف عليها. «الجمال في ذاته» كلمة خاوية لا غير، وليست حتى مجرد فكرة. في الجمال يتخذ الإنسان نفسه معيارا للكمال، وهو لا يفعل في الحالات الجمالية المنتقاة سوى عبادة نفسه. كل نوع لا يستطيع إلا أن يقول نعم لنفسه، ولنفسه وحده على هذا النحو. كما أن غريزته *الأكثر عمقا*، غريزة البقاء والانتشار تغدو أكثر إشعاعا في هذا الارتفاع. يعتقد الإنسان أن العالم نفسه يفيض جمالا، وينسى نفسه كعلة لذلك الجمال. فهو وحده الذي منح العالم جمالا؛ جمالا إنسانيا فحسب، جمالا إنسانيا مفرطا في الإنسانية... وفي الحقيقة يعكس الإنسان نفسه في الأشياء، ويجد جميلا كل ما يعيد إليه صورته الخاصة: حكمه بصفة «جميل» هو غرور *النوع* الذي ينتمي إليه... غير أن شكا صغيرا يهمس في أذن الريبيّ بهذا السؤال: ترى هل يغدو العالم جميلا لأن الإنسان بالذات يراه جميلا؟ إنما هو قد *أَنْسَنَه*: ذلك كل ما في الأمر. لكن لا شيء، ولا شيء مطلقا يكمن أن يضمن لنا أن الإنسان بالذات بإمكانه أن يكون نموذجا للجميل. من يدري كيف سيبدو في عين حَكَم ذي ذوق أرقى؟ ربما سيبدو له جريئا أكثر من اللزوم؟ وربما طريفا، وربما اعتباطيا شيئا ما؟... «أي، ديونيزوس الإلهي، لم تجذبني من أذني؟» سألتْ أريان مرة عشيقها الفيلسوف في واحد

من تلك الحوارات الشهيرة في جزيرة ناكسوس. «إنني أجد شيئا من الدعابة في أذنيك يا أريان؛ ولكم تمنيت لو أنهما كانتا أطول!»[٨٦]

٢٠

ليس هناك من شيء جميل؛ الإنسان وحده هو الجميل: علم الجمال بكليته يرتكز على هذه المقولة الساذجة؛ إنها حقيقته *الأولى*. لنضف إليها حقيقته الثانية: ليس هناك من شيء قبيح سوى الإنسان في *طور الفساد*،- بهذا نكون قد رسمنا حدود حقل الحكم الجمالي.- ومن وجهة نظر العلوم الفيزيولوجية، كل قبيح يضعف ويعكر صفو الإنسان. إنه يذكره بالانهيار، وبالخطر، والعجز؛ وبالفعل فهو يدفع ثمنا لذلك خسارة في قواه. وبإمكاننا أن نقيس بالدينامومتر (مقياس الديناميكية) مفعول القبح. فحيثما يغدو المرء منهارا، يستشعر حتما قرب شيء «قبيح». فإحساسه بالقوة، وإرادة القوة لديه، وشجاعته ونخوته كلها تنهار مع القبح، وتعرف ارتفاعا مع الجمال... وفي كلتي الحالتين نستطيع أن نستنتج الأمر نفسه: تكون بواكير الحالة (النذائر) متراكمة بكمية هائلة داخل الغريزة. يتم إدراك القبيح كإشارة وعرض انحلال؛ وكل ما يذكّر عن قرب أو عن بعد بالانحلال يستدعي في ذهننا حكم «قبيح». وكل علامة إنهاك،

---

(٨٦) أنظر *ما وراء الخير والشر*: «*إدماج*: محادثات قصيرة بين تيزويس وديونيزوس وأريان.» W II 1,5

وثقل، وشيخوخة وعياء، وكل ضرب من الإكراه المتجسد في هيأة تشنج عضلي أو شلل، وبصفة خاصة الرائحة واللون، ومظاهر الانحلال والتعفن، حتى في حالة اختزالها القصوى في هيأة رمز، - كل ذلك يستدعي نفس ردة الفعل: الحكم القيَمي «قبيح». هناك حقد ينفجر ههنا: لكن، على من يحقد المرء؟ ليس من مجال للشك هنا: إنه يحقد على *انحطاط* نوعه. يحقد هنا من عمق أعماق غريزة النوع؛ وفي هذا الحقد رعدة، وحذر، وعمق رؤية، وبعد نظر، - إنه الحقد الأكثر عمقا على الإطلاق. وبسببه يكون الفن عميقا(٨٧)...

٢١

شوبنهاور. شوبنهاور، آخر ألماني ممن يدخل في الحسبان (حدث *أوروبي*، مثل غوته، مثل هيغل، مثل هاينرش هاينه، وليس مجرد حدث محلي «قومي»)، يمثّل في عين الخبير النفساني حالة ذات أهمية من الدرجة الأولى: أي كمحاولةٍ عبقريةٍ خبيثةٍ لاستخدام الاستجابة الإثباتية الكبرى لـ«إرادة الحياة» وأشكال الثراء الغزير للحياة، وتوظيف هذه الحجج بالذات لفائدة نقيضها: تتفيه كلي وعدمي لقيمة الحياة. لقد تأول كلا من *الفن*، والبطولة، والعبقرية، والجمال، والشفقة الكبرى، والمعرفة، وإرادة الحقيقة، والتراجيديا، على أنها نتائج لـ«النفي»، أو

---

(٨٧) في دفاتر W II 7, 134 نجد: «في هذا الحقد تكمن كل فلسفة الفن.»

لحاجة النفي في «الإرادة»؛ -إنه، إذا ما طرحنا المسيحية جانبا، التزوير البسيكولوجي الأكبر من بين كل ما وجد من تزوير في التاريخ. وهو في ذلك، إذا ما نظرنا إلى المسألة بأكثر دقة، لا يعدو كونه وريث الرؤية المسيحية: مع فارق وحيد وهو أنه استطاع أن يستحسن، من وجهة نظر مسيحية-أي عدمية- ما رفضته المسيحية من الوقائع الثقافية للإنسانية (وذلك كطرق إلى «الخلاص»، وكأشكال أولية «للخلاص»، وكحوافز للحاجة إلى «الخلاص»...)

٢٢

سأتناول حالة محددة. يتكلم شوبنهاور عن *الجمال* بحماس مترع بالكآبة، -لِم ذلك بالنهاية؟ لأنه يرى فيه جسرا يمكّن المرء من المضي إلى ما أبعد، أو يشعر المرء فوقه بالتعطش إلى المضي إلى ما أبعد... إنه يمثل بالنسبة إليه الخلاص من «الإرادة» للحظة من الزمن؛- شيئا يستدرج إلى الخلاص النهائي... وهو يمجده على وجه أخص كمخلّص من «بؤرة الإرادة»: من الجنس؛- في الجمال يرى *نفيا* لغريزة التناسل... أيها القديس العجيب! ههنا واحد يناقضك، أخشى أن تكون الطبيعة. لم يا ترى يوجد جمال في هيأة أصوات وألوان وعطور وحركات موقّعة، داخل الطبيعة؟ ما الذي يدفع بالجمال إلى *البروز*؟ -لحسن الحظ هناك أيضا فيلسوف يناقضه! وليس واحدا ذا سلطة من المستوى الدنيء، أفلاطون الإلهي (هكذا يسميه شوبنهاور نفسه) الذي يطرح قانونا مناقضا مفاده أن كل جمال يثير

الرغبة في التناسل، وأن هذا بالذات هو الطبيعة الخاصة لمفعوله، من المفعول الأكثر حسية إلى أكثره روحانية. . .

٢٣

ويذهب أفلاطون أبعد من ذلك. يصرح ببراءة ينبغي على صاحبها أن يكون يونانيا، وليس «مسيحيا»، أنه ما كان من الممكن أن توجد فلسفة أفلاطونية لو لم يكن هناك ذلك العدد الكبير من الفتيان الجميلين في أثينا؛ وأن رؤيتهم هي وحدها التي تزج بروح الفيلسوف في حالة من الدوار الشبقي وتظل متلبسة به تقضقضه دون فكاك إلى أن تقذف ببذار الأشياء الرفيعة كلها داخل مثل هذه التربة الجميلة.(٨٨) قديس عجيب آخر!- لا نكاد نصدق أذنينا، حتى إذا ما افترضا أننا نصدق أفلاطون. لكنه يمكننا على الأقل أن نحزر بأن الناس كانوا يتفلسفون على نحو مغاير في أثينا، وفي الفضاء العمومي خاصة. ليس هناك ما هو أقل يونانية من هذا النسج العنكبوتي(*) الرهباني المتمثل في فكرة *amor intellectualis dei*(٨٩) على المنوال السبينوزي. سيكون علينا أن نعرف الفلسفة اليونانية على المنوال الأفلاطوني كمناظرة

---

(٨٨) أنظر افلاطون: فيدرا Phedre 249c- 256e

(*) عبارة العنكبوتي ترد غالبا لدى نيتشه للسخرية من سبينوزا (Spinoza)، مستعملا في ذلك لعبا على لفظتي Spinne التي تعني العنكبوت في الألمانية وspinnen التي تعني «ينسج وكذلك التلفظ بحماقات، أو إتيان حماقات وأعمال خرقاء. (م)

(٨٩) الحب العقلي لله، أو العقل ومحبة الله: فكرة قد طورها سبينوزا. (م)

إيروتيقية، كتكوين مستمر واستبطان للرياضة الأغونية (اللاهونية)[٩٠] القديمة *وللشروط التي تتأسس عليها*... ما الذي نتج عن هذه الإيروتيقية الأفلاطونية بالنهاية؟ شكل فني جديد من المبارزة اليونانية: الجدل. - أذكر هنا مرة أخرى، ضد شوبنهاور ولصالح أفلاطون، بأن مجمل الثقافة والأدب الراقيين لفرنسا *الكلاسيكية* قد نمت على أرضية الاهتمامات الجنسية اليونانية. يستطيع المرء أن يبحث في كل موضع داخلها عن الغزل، وعن الرغبات الحسية، وعن المناظرة الجنسية، عن «المرأة» *(chercher la femme)*[*]، - وأبدا لن تذهب جهود البحث سدى...

٢٤

L'art pour l'art[٩١] **-الفن للفن**. إن الصراع ضد الغرض في الفن هو دوما صراع ضد النزعة *الأخلاقانية* في الفن، وضد الخضوع لسلطة الأخلاق. الفن للفن يعني: «لتذهب الأخلاق

---

(٩٠) نسبة إلى أغون، وتسمى أيضا «اللاهون»، من agon اليونانية التي تعني: المسابقة، والمنافسة، والتحدي في مجال الألعاب الرياضية التي كانت تعقد فيأثينا في مناسبات الاحتفالات الدينية. (م)

(*) بالفرنسية في النص الأصلي.

(٩١) ترد بالفرنسية في النص الأصلي. والعبارة من صياغة فيكتور كوزان الذي كان أول من استعملها في: "Il faut de la religion pour la religion, de la morale pour de la morale, de l'art pour l'art" - «لا بد من دين للدين، وأخلاق للأخلاق، وفن للفن» (من محاضراته الفلسفية الصادرة سنة ١٨٣٦ بباريس.

إلى الجحيم!» -لكن هذه العداوة نفسها تفشي، هي أيضا، مدى السلطة الساحقة للفكرة المسبقة. عندما نقصي عن الفن غرض الدعوة الأخلاقية وإصلاح البشرية فإن ذلك لا يعني البتة أن الفن سيكون دون غاية ودون غرض، وخال من المعنى، بعبارة واحدة فنًا للفن-ثعبان يغض ذيله- «أن لا يكون لك أي غرض أفضل من غرض أخلاقي!»، هكذا تتكلم لغة الهوى الخالص. أما الخبير النفساني فيسأل على بالمقابل: «ماذا يفعل كل فن؟» ألا يمدح؟ ألا يمجّد؟ ألا ينتقي؟ ألا يبرز؟ وفيما هو يفعل هذا كله يدعّم أو يضعف أحكاما قيمية بعينها... هل هذا مجرد مسألة جانبية؟ مجرد صدفة؟ شيء لا يد فيه البتة لغرائز الفنان؟ أم على العكس من ذلك: أليس ذلك شرطا لجعل الفنان *قديرا*...؟ هل تتجه غريزته العميقة إلى الفن، أم، أليس بالأحرى إلى معنى الفن والحياة؟ إلى *حياة مبتغاة*؟ -الفن هو أكبر منشط للرغبة في الحياة؛ فكيف يمكننا أن نعتبره مجردا من الغرض، مجردا من الغاية، مجرد فن للفن؟ -هناك سؤال يظل مطروحا: إن الفن يظهر الكثير من الأشياء القبيحة أيضا، والقاسية والمشبوهة في الحياة؛ -ألا يبدو لذلك أنه ينفّر من الحياة؟ - وبالفعل فإن هناك فلاسفة قد ألبسوه هذا المعنى: «التخلص من الإرادة»، ذلك ما كان يكرز به شوبنهاور كمبتغى عام للفن، و يمجد في الرتاجيديا صلوحيتها الكبرى المتمثلة في نظره في كونها «تهيء للخضوع». لكن هذا -وقد سبق لي أن وضحت هذه المسألة- منظور متشائمين و«عين سوء»: - علينا أن نتجه بنظرنا صوب الفنانين أنفسهم. *ما الذي يصلنا من الفنان التراجيدي عن نفسه*؟ أليست

حالة الوقوف دون خوف أمام المرعب والمريب هي ما يعرضه علينا؟ هذه الحالة هي في حد ذاتها مبتغى سام؛ والذي يعرفها يخصها بأسمى آيات التقدير؛ يعبر عنها، بل وينبغي *عليه* أن يعبر عنها، شريطة أن يكون فنانا، عبقرية تعبيرٍ وإيصالٍ. الشجاعة وحرية الشعور أمام عدو ذي بأس، وأمام خطب جلل، وأمام مشكلة تبعث على الفزع؛ هذا الموقف *الظافر* هو ما ينتقيه الفنان ويمجده. أمام الموقف التراجيدي يُحيي العنصرُ الحربي الذي يسكن أنفسنا حفلَه الشبقي المعربد؛ والذي تعودت نفسه على الآلام، والذي يبحث عن الألم، الإنسان *البطولي* يحتفي بوجوده في التراجيديا؛ -ولوجوده وحده يقدم الفنان التراجيدي قدح هذه الفظاعة الأكثر حلاوة.-

٢٥

أن يقبل المرء الناسَ برحابة صدر، وأن يجعل قلبه بيتا مفتوحا للجميع، فذلك كرم، لكنه يظل مجرد كرم. إنما تُعرف القلوب الأكثر سعةً لكرمِ ضيافة *نبيلة* من نوافذها الكثيرة المغلقة وستائرها المسحوبة: إنها تدع أفضل غرفها شاغرة. لم يا ترى؟ -لأنها تنتظر ضيوفا لا يكون على المرء أن «يتقبله برحابة صدر».

٢٦

نكف عن احترام أنفسنا بما يكفي من الاحترام عندما نستعرض نفسنا. فتجاربنا الشخصية ليست ثرثارة. وهي لا تستطيع الحديث عن نفسها إن أرادت ذلك. يعني أنه تنقصها

الكلمات لذلك. والأشياء التي نملك كلمات للحديث عنها هي تلك التي تجاوزناها. في كل حديث هناك بذرة من احتقار. فالكلام على ما يبدو لم يُبتدع إلا للتعبير عن الأشياء الرديئة والعمومية، وما هو قابل للإيصال. بالكلام يكون المتكلم قد *ابتذل* نفسه. -من أخلاقٍ خاصة بالصم البكم وفلاسفة آخرين.

٢٧

«هذه اللوحة رائعة الجمال!»... «امرأة الأدب»، محرومة، متوترة، متصحّرة القلب والأحشاء، مصغية طوال الوقت بفضول موجع إلى المُلزِم الذي يهمس لها من عمق أعماق كيانها: "*aut liberi aut libri*"(٩٢): امرأة الأدب، متعلمة بما فيه الكفاية كي تستطيع أن تفهم لغة الطبيعة، حتى عندما تنطق باللاتينية، ومن ناحية أخرى، مزهوة وبطة حمقاء بما فيه الكفاية كي تخاطب نفسها في السر باللغة الفرنسية: *"je me verrai, je me lirai, je m'extasierai et je dirai: Possible, que j'ai eu tant d'esprit?"*(٩٣)... -

---

(٩٢) «إما الطفل أو الكتاب»: كلمات تامينوس، من «الناي السحري» *(Zauberflöte)* لموزارت.

(٩٣) (سأرى نفسي، وسأقرأ نفسي، وسأنتشي وأقول: «أكاد لا أصدق أنني كنت على مثل هذا المستوى الرفيع من العقل؟»...) هذه الجملة الواردة بالفرنسية في النص الأصلي مقتطعة من رسالة غالياني إلى مدام ديبيناي بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٧٦٩.

٢٨

اللاشخصيون يتكلمون: «لا شيء أسهل علينا من أن نكون حكماء، صبورين، ومتفوقين. إننا ننضح سائلا من رحيق زيت الحِلم والشفقة، ونحن عادلون بطريقة لا معقولة ونغفر كل شيء. ولذلك بالذات علينا أن نكون أكثر صرامة مع أنفسنا، وأن نغذي بين الحين والآخر قليلا من الانفعال، أن نأتي رذيلة انفعال صغيرة. قد يكون لنا من ذلك شيء من المرارة، وقد نضحك فيما بيننا من المظهر الذي سنبدو عليه في ذلك. لكن ما عسانا نفعل؟ إذ لم يعد لدينا من طريقة أخرى للتغلب على ذاتنا: ذلك هو تبتلنا، وكفّارتنا»... أن *يصير المرء شخصيا*؛- تلك هي فضيلة «اللاشخصي»...

٢٩

من مجادلة أطروحة دكتوراه. «ما هي مهمة كل مؤسسة تعليم عال؟» -أن تجعل من الإنسان آلة[٩٤]. -«وما هي الوسيلة المتوخاة في ذلك؟» -عليه أن يتعلم الضجر. -«كيف يبلغ المرء ذلك؟» -عن طريق فكرة الواجب. -«ومن هو مثاله النموذجي في ذلك؟» -الفيلولوجي: إنه يعلمنا *الكد*. -«من هو الإنسان الكامل؟» -الموظف الحكومي. -«أية فلسفة تمنح المبدأ الأرقى للموظف الحكومي؟» قاعدة كانط: الموظف الحكومي كشيء

---

(٩٤) في Mp XVI 4 نجد: «...آلة في خدمة الدولة»

بذاته منصَّبًا قاضيا على الموظف الحكومي كظاهرة.

٣٠

الحق في الغباء. العامل المنهَك الذي يتنفس بصعوبة، ذو النظرة الطيبة، والذي يدع الأشياء تجري كما تجري؛ هذا النمط النموذجي الذي يلتقي به المرء الآن، في عصر العمل (وعصر «الرايش»!)، في كل شرائح وطبقات المجتمع قد غدا يطالب بحقه في وضع اليد على الفن، بما في ذلك الكتاب، والصحيفة بصفة أخص،-بل وأكثر من ذلك، على جمال الطبيعة، على إيطاليا... إن إنسان الغسق، صاحب «الغرائز الوحشية النائمة»، التي يتكلم عنها فاوست[٩٥]، بحاجة إلى اصطياف، وشواطئ للاستحمام، ومثلجات، وبايرويت... في مثل هذه العصور يصبح للفن الحق في *الحماقة الصرف*، كنوع من العطلة التي تمنح للعقل وللذكاء، وللروح. وذلك ما أدركه فاغنر؛ *الحماقة الصرف* تفعل فعل المنشط.

٣١

مسألةٌ حِميويّة أخرى. الوسائل التي كان يوليوس قيصر يتحصن بها من شتى التوعكات ومن الصداع هي: حصص مشي طويلة للغاية، طريقة عيش على غاية من البساطة، إقامة متواصلة في الهواء الطلق، أعمال متعِبة دائمة؛- إنها بصفة عامة إجراءات

---

(٩٥) غوته؛ فاوست I؛ ١١٧٩ - ١١٨٥.

الوقاية والحفاظ على الذات ضد الهشاشة القصوى لتلك الآلة المعقدة، والتي تشتغل تحت درجة قصوى من الضغط؛ تلك التي تدعى عبقرية.

٣٢[٩٦]

اللاأخلاقي يتكلم. ليس هناك من شيء تمجّه ذائقة الفيلسوف أكثر من الإنسان *حالما* يغدو *راغبا*... وعندما يرى الفيلسوف الإنسان في عمله فقط، ويرى ذلك الحيوان الأكثر

---

(٩٦) الفقرات اللاحقة (من ٣٢ إلى ٤٤) قد تمت إضافتها إلى كتاب «غسق الأوثان» من قبل نيتشه أثناء تصحيح (النسخة المطبعية) . وقد أخذت الفقرات ٣٢- ٣٥ من نسخة أطول كان قد شرع في تحريرها في ربيع ١٨٨٨ في دفتر W II, 6. وكانت تلك الصيغة تتكون من ٦ فقرات، ترد السادسة منها منقوصة، ذلك أن يدا (ليست يد نيتشه على ما يبدو) قد اقتلعت صفحة من الدفتر. من هذه الفقرات الست، ستتحول الفقرتان الأولى والثانية إلى الفقرتين ٢ و ٣ من «نقيض المسيح» وتذهب الفقرات الأربع الباقية إلى كتاب «غسق الأوثان» (الفقرات ٣٢-٣٥ من تسكعات رجل غير....). بعدها مباشرة نجد في نفس الدفتر شذرة تحت عنوان «*إعادة الاعتبار إلى الانتحار، والموت الطوعي*»، التي ستصبح الفقرة ٣٦ من «التسكعات»، تليها شذرتان، واحدة عن ضرورة «منع الحمل على المرضى المزمنين»، والثانية عن «إعادة الاعتبار إلى البغاء»: سنجد الشذرة الأولى في ما بعد في موقع الشذرة ٧٣٤ من «*إرادة القوة*»، بينما حجب الناشرون الشذرة الثانية.
الفقرة ٣٧ مأخوذة من ملاحظات متشظية كان نيتشه يعدها للكتاب الثاني من «*قلب كل القيم*» بحسب مخطط سبتمبر ١٨٨٨، ثم للكتاب الثالث، بحسب مخطط أكتوبر ١٨٨٨، والذي كان من المفترض أن يحمل عنوان «*اللاأخلاقي*»، والذي تخلى عنه خلال مراجعة (النسخة الطبوعة) لـ«غسق الأوثان» في أكتوبر ١٨٨٨ . =

شجاعة وحيلة ومثابرة تائها داخل متاهة الأوضاع الأكثر شدة؛ فأي كائن جدير بالإعجاب يتراءى له الإنسان عندها! بل إنه يمجده أيضا. . . إلا أن الفيلسوف يحتقر الإنسان الراغب، وكذلك الإنسان «المرغوب»- وكل الرغبات على وجه العموم وكل مُثُل الإنسان. وإذا ما كان على فيلسوف أن يكون عدميا، فإنه سيكون كذلك لأنه لا يجد سوى اللاشيء خلف كل مُثُل الإنسان. بل أكثر من ذلك، ولا حتى اللاشيء، بل ما هو حقير، وسخيف، ومَرَضي، وجبان، ومتعَب، وكل نوع من الحثالة في قاع الكأس *المفرَغة* لحياته. . . هذا الإنسان الذي يستحق كل تقدير كواقع، لِم يغدو غير جدير بأي احترام حالما يصبح راغبا؟ هل عليه أن يدفع ثمن كونه مقداما كواقع؟ هل يتحتم عليه أن يوازن عمله، وتوتر عقله وإرادته في كل عمل بارتخاء كلي في ما يتعلق بالخيال وبالتصورات السخيفة؟ -لقد ظل تاريخ رغباته إلى يومنا هذا يمثل عورة الإنسان(*): وعلينا أن نتفادى كثرة النظر في هذا التاريخ. إن ما يبرر الإنسان هو واقعه؛ وسيظل يبرره على الدوام. ولكم هو أكثر قيمة هذا الإنسان الواقعي مقارنة بأية صورة لإنسان مشتهى ومرغوب ومكذوب؟ بأي إنسان

= أما الفقرتان ٣٨ و٣٩ فهي مأخوذة من نص آخر من نفس الدفتر، يتكون من ٦ فقرات قصيرة تحت عنوان «*الحداثة ./ كتيب جيب لإنسان المستقبل*» - *Die Modernität./ Vademecum eines Zukunftiges.*
أما الفقرات ٤٠ إلى ٤٤ فقد حررها نيتشه انطلاقا من شذرات عديدة متفرقة لم يكن بينها أي ترابط في الأصل.

(*) ترد هذه العبارة باللغة الفرنسية في النص: *"parties honteuses"*

مثالي! . . . والإنسان المثالي وحده هو الذي تمجّه ذائقة الفيلسوف.

٣٣

القيمة الطبيعية للأنانية. لإيثار الذات قيمة مماثلة للقيمة الفزيولوجية لصاحبه: يمكنه أن يكون ذا قيمة عالية، ويمكنه أن يكون عديم القيمة وجديرا بالاحتقار. وبالتالي فإنه علينا أن ننظر أولا إلى كل فرد إن كان يمثل خط الارتقاء ونمو الحياة، أم خط الانحدار. ووفقا للنتيجة التي سنتوصل إليها في هذا الشأن سيكون لدينا المعيار الذي يمكننا من أن نحدد قيمة أنانيته. فإذا كان يمثل خط الارتقاء، فإن قيمته ستكون بالفعل خارقة للعادة، – ووفقا لمصلحة الحياة الكلية التي تخطو خطوة *إلى الأمام* من خلاله، سيحق لحرصه على الحفاظ على النفس وعلى ضمان الشروط الأمثل لبقائه أن يكون بدوره من درجة قصوى. إن «الفرد» كما ظل يفهمه الشعب والفلاسفة إلى حد الآن مفهوم خاطئ بكل تأكيد: إنه لا يمثل شيئا لنفسه، وهو ليس ذرّة ولا «حلقة في سلسلة»، ولا هو مجرد موروث من الماضي؛ –إنما هو مجمل السلالة البشرية موحدة ومتصلة حتى ذلك الموقع الذي يوجد فيه هو نفسه. . . وإذا ما كان يمثل مسار الانحدار، والتدهور، والانحطاط المزمن، والمرض (الأمراض عموما تمثل أعراضا لنتائج الانحلال، وليست أسبابه)، فإنه سيكون غير ذي قيمة تذكر، و بالتالي فإن أبسط مظاهر العدالة تقتضي أن لا يدخل الضيم على ذوي التكوينة الموفّقة، وألا يتناول سوى أقل

ما يمكن من أمامهم - فهو لا يعدو بالنهاية كونه عنصرا طفيليا يغتذي على حسابهم... (٩٧)

---

(٩٧) ترد هذه الفقرة مكثفة ومختصرة مقارنة مع النص الأصلي الذي نجده في دفتر W II 6,136-142. وفي هذا الموقع الأخير من الفقرة نقرأ مثلا: «وإذا ما كان يمثل مسار الانحدار، والتدهور، والانحطاط المزمن، والمرض (الأمراض عموما تمثل أعراضا لنتائج الانحلال، *وليست* أسبابه)، فإنه سيكون غير ذي قيمة تذكر، و بالتالي فإن أبسط مظاهر العدالة تقتضي ألاّ يزاحم ذوي البنية السليمة، وألا يأخذ منهم سوى أقل ما يمكن من مكان و من طاقة ومن أشعة الشمس. إن ما يفعله حيوان في مثل هذه الحالة هو أن ينسحب للإنزواء في مغارته. على المجتمع هنا أن يأخذ على عاتقه مهمة كبح الأنانية (التي تتخذ أحيانا شكلا سخيفا ومرضيا ومتمردا)، سواء تعلق الأمر بأفراد أم بفئات شعبية بأكملها من المنحطين. إن مذهب وديانة «محبة» وتصاغر ونكران للذات، وصبر، وتحمّل ومساعدة وتآزر قولا وعملا بإمكانها أن تكون ذات قيمة كبرى داخل هذه الطبقات الاجتماعية المتدنية، وذلك حتى من وجهة نظر الفئات المهيمنة؛ ذلك أنها تضغط على مشاعر المنافسة والحسد والضغينة (مشاعر طبيعية للغاية لدى الفاشلين!)، بل وتؤلّه لهم حالة الفقر والمرض وموقع الدون تحت أسماء الفضيلة والقداسة. ليس ذلك من باب مكر الفئات المهيمنة فحسب، بل هي حكمتها الخاصة، أن تغذي لدى هذه الفئات الشعبية صنم نكران الذات، و إنجيل الضعفاء، و«الرب على الصليب»: إنها تتخذها وسيلة لمحاربة الغرائز الفاسدة للمتألمين والأنانية التي لا يمكن *أن* يسمح *لهم بها*. إن إنسانا مريضا، كائنا من نتاج الانحطاط، لا حق له في الأنانية البتة.

مسيحي وفوضوي. عندما يتبنى الفوضوي،[٩٨] كناطق باسم الفئات المتدنية، المطالبة، وباستياء جميل، بـ«الحق» و«العدالة» و «المساواة في االحقوق»، فإنه يفعل ذلك تحت وطأة *جهله*[٩٩] الذي يجعله غير قادر على إدراك ما *الذي يجعله* يعاني في الحقيقة،- وما هو وجه العوز في حياته... هناك غريزة سببية تُحكم سيطرتها عليه: لا بد أن يكون هناك أحد ما مسؤولا عن وجوده في حال سيء... كما أن «الاستياء الجميل» يريحه هو أيضا، ذلك أن كل الكائنات البائسة تجد متعة في التشكي،- إن ذلك يمنح إحساسا صغيرا بنشوة السلطة. فمجرد الشكوى، والتفجع على الذات يمكنها أن تدخل على الحياة شيئا من الجاذبية التي تجعلها محتملة: في كل شكوى هناك مقدار دقيق من *الانتقام*؛ يلقي المرء بمسؤولية حاله السيء، وبسوئه أيضا في بعض الأحيان على الآخرين المغايرين، كمظلمة، وكامتياز لاشرعي لهم على حسابه. «إن كنتُ حثالة، فإنه ينبغي عليك أن تكون كذلك أنت أيضا»: وفقا لهذا المنطق يقوم المرء بثورة. التشكي عديمُ القيمة في كل الأحوال: إنه يتأتى من الضعف. أن يعزي المرء حاله السيء إلى الآخرين أو *إلى نفسه* -في الحالة الأولى، كما يفعل الاشتراكي، وفي الحالة الثانية، المسيحي- فإن ذلك بالنهاية سيّان.[١٠٠] إن ما يجمع بينهما، ولنقل ما هو

---

(٩٨) «الاشتراكي»، في نسخة دفاتر المسودات.

(٩٩) «تحت وطأة ثقافته المنقوصة». نسخة دفاتر المسودات.

(١٠٠) ابتداء من هنا يدخل نيتشه تغييرا كاملا على بقية الفقرة التي جاءت في =

شائن فيهما معا، هو أنه ينبغي أن يكون هناك دوما أحد يُلقى عليه بـ*الذنب* في وجود المعاناة،- وباختصار أن يقدم المتألم لنفسه وصفة عسل الانتقام ترياقا لألمه. ومواضيع الحاجة إلى الانتقام كحاجة إلى *المتعة* أيضا ترتبط بأسباب متنوعة على الدوام: فالذي يعاني يلتقط الأسباب في كل مكان من أجل إشباع رغبته الانتقامية الحقيرة؛ إن كان مسيحيا فسيجدها في *نفسه*، كما قلنا آنفا.. . المسيحي والفوضوي كلاهما منحطان.-عندما يُدين المسيحي «*الدنيا*»، ويثلبها، ويشوه سمعتها، فإنه يفعل ذلك بدافع من نفس الغرائز التي تدفع العامل الاشتراكي إلى إدانة *المجتمع* وثلبه وتشويه سمعته: وليس «يوم الحساب» نفسُه سوى السلوان الحلو لرغبة الانتقام؛ إنه صورة الثورة كما يحلم بها

= دفاتر المسودات كما يلي: «... وبالنهاية لا يكتفي المسيحي أيضا بالبقاء عند حدود نفسه كسبب لمعاناته: لم يعد إثمه كسبب causa et ratio لحالته النفسية السيئة ليكفيه من أجل الإفراج عن ضغينته. بل سيعمد إلى إدانة «الدنيا» وشجبها والافتراء عليها ولعنتها من منطلق الرأي نفسه الذي يجعل الاشتراكي يدين المجتمع والنظام السائد والتباين الطبقي الذي يفصل بين إنسان وإنسان. غير أن المسيحي لا يستثني نفسه؛ وهو بذلك أرفع ذوقا من الإشتراكي الذي لا يكف عن الصراخ: «نحن وحدنا الصالحون والعادلون!» وفي كلتي الحالتين يستحسن أن لا نولي هذا الصراخ أكثر مما يستحق من الاهتمام. بل لنجعل نصب أعيننا أن الانحطاط الفزيولوجي (وليس أي ضرب من الظلم) هو الذي يصرخ في وجه السماء: إن «خطيئة» المسيحي وعدم الرضى الاشتراكي مفاهيم مغلوطة اختلطت على كائنات مريضة لم يعد هناك للأسف من مجال لمساعدتها. لا، بل هناك *إمكانية* لمساعدتها، لكن هذا النوع من الناس أجبن من أن يقدر على هذا الأمر...»

العامل الاشتراكي مرجَأة إلى زمن أبعد فقط. . . و«الآخرة» نفسها؛-لم الآخرة إذن، إن لم تكن وسيلة لتدنيس الحياة الدنيا؟ . . .

٣٥(١٠١)

نقد أخلاق الانحطاط. إن أخلاقا «غيرية»، أخلاقا تجعل الأنانية تصاب *بالذبول*، تظل في كل الأحوال علامة سيئة. وكما

---

(١٠١) الفقرة ٣٥ ترد هنا في صيغة مختصرة ومكثفة لما جاء في دفتر المسودات المذكور أعلاه، وصيغتها الأصلية كما يلي: «حيثما نجد غلبة لنمط التقييم الغيري، تكون هناك غريزة فشل عام تنبئ عن نفسها من خلال ذلك. وذلك الحكم القيمي لا يعني في عمقه القصي سوى: «إنني لا أساوي شيئا ذا أهمية»: هكذا يتكلم الوهن والعجز وفقر المشاعر الإثباتية النشطة القوية في العضلات والأعصاب ومراكز الحركة. ويترجم هذا الحكم الفزيزلوجي عن نفسه في هيأة حكم أخلاقي أو ديني: وفي العموم تظل هيمنة القيم الأخلاقية والدينية علامة ثقافة *دنيا*. وكل ما يحدث هو أن إحساسا فزيزلزوجيا بالقيمة يبحث عن مبرر له في مناطق تستطيع هذه الكائنات المنحلة أن تجد لنفسها معبرا من خلالها إلى مفهوم القيمة نفسه. والتأويل الذي يعتقد «الخاطئ» المسيحي أنه يفهم نفسه من خلاله ليس بمحاولة لجعل انعدام القوة وخلل الوثوق بالنفس أمرا مبررا: إنه يفضل أن يشعر بنفسه مذنبا من أن يشعر بنفسه في حال سيء دون سبب (الوحش الإنساني في تكالبه الشديد على العلل يزدرد الصحيح والخاطئ من الأسباب دون تمييز). وإن ذلك عموما لعلامة تدهور في حد ذاته أن يكون المرء في حاجة إلى تأويلات على غرار المسيحي. - وفي حالات أخرى قد سبق لنا أن رأينا أن الإنسان الفاشل لا يبحث عن علة لذلك في نفسه وأخطائه، بل في المجتمع: الاشتراكي والفوضوي والعدمي الذين يتأولون وضعهم الوجودي كأمر يلقى فيه بالمسؤولية على أحد ما يظلون ذوي قرابة بالمسيحي (في موضع آخر غير هذا أتكلم عن القرابة الغريزية =

يصح هذا الأمر على الأفراد يصح على الشعوب أيضا. يغدو الكيان مفتقرا إلى الأفضل حالما يشرع في افتقاد الأنانية. فالميل الغريزي إلى اختيار ما هو مضر، و*الانسياق* إلى أغراض «مترفّعة» مجردة من المصلحة تشكل تقريبا القاعدة التي يقوم عليها الانحطاط. «عدم البحث عن المصلحة *الخاصة*»؛ إنها ورقة التوت الأخلاقية التي تستر واقعا آخر، واقعا فيزيولوجيا في الحقيقة، وهو: «لم أعد قادرا على معرفة مصلحتي»... حالة تفكك الغرائز!-يكون أمر الإنسان منتهيا حالما يصبح غيريًّا. وعوضا أن يقول بكل سذاجة، «لقد أصبحت غير ذي قيمة»، تُفضل أخلاق الكذب أن تقول على لسان المنحط: «ليس هناك من شيء ذي قيمة؛ والحياة لا تساوي شيئا»... إن حكما من هذا النوع يمثل خطرا عظيما بالنهاية؛ إن له مفعول العدوى. وفوق مجمل التربة المريضة للمجتمع ستنمو وتنتشر غابات أفكار استوائية، مرة في شكل ديانة (المسيحية)، ومرة في شكل فلسفة («الشوبنهاوريات»). ويحدث أنّ مثل هذه النباتات السامة التي تنمو من صلب التعفن، تظل تسمم *الحياة* بأبخرتها على مدى آلاف السنين...

= العميقة بين المسيحي والعاميّ والمريض والفقير والأبله). هناك اعتقاد بأنه سيكون من الأسهل تحمل الأوضاع النفسية المزعجة والفشل (بعبارة أوضح: تفوّق الحالات الكاربة على حالات الحيوية النشطة) إذا ما كان هناك أحد .... **(الصفحة الموالية مقتلعة من الدفتر)**.

٣٦

أخلاق للأطباء. المريض كائن طفيلي داخل المجتمع. وعند بلوغ حالة محددة سيكون من غير اللائق أن يواصل الإنسان البقاء على قيد الحياة. ومن المفترض أن لا يثير بقاؤه على حالة من الخمول ورهن استسلام جبان لمشيئة الأطباء والمعالجين سوى الاحتقار من طرف المجتمع. وكان على الأطباء أن يكونوا القناة التي تبلغه ذلك الاحتقار؛ وعوضا عن وصفات، كان عليهم أن يقدموا لمرضاهم في كل يوم مقدارا إضافيا من *القرف*... سنُ مسؤولية جديدة تفرض في كل موضع يستوجب مراعاة المصلحة العليا للحياة، للحياة الصاعدة، أن يعمد الأطباء بصرامة شديدة إلى إزاحة وإقصاء الحياة الماضية نحو التفكك *والانحلال*- وذلك مثلا في ما يتعلق بالحق في التناسل، والحق في الولادة، والحق في الحياة... أن يموت المرء بكرامة،[١٠٢] عندما يغدو مستحيلا عليه أن يحيا بكرامة! موتا اختياريا برغبة طوعية، موتا في الوقت المناسب، يتم في حالة من الوضوح الذهني ومن الحبور، بين أبناء وشهود، حيث تكون هناك إمكانية لوداع حقيقي، وحيث المودع *ما يزال هناك*، قادرا على تقييم منجزه وموضوع إرادته؛ تقييمَ تتويجٍ لمجمل الحياة-كل ذلك كنقيض لتلك الكوميديا البائسة التي تحيط بها المسيحية ساعة الوفاة. لا ينبغي لنا أبدا أن نغفر للمسيحية استغلالها لضعف

---

(١٠٢) أنظر فصل «عن الموت اختيارا» -هكذا تكلم زرادشت؛ الكتاب الأول. (المترجم)

المحتضر لاغتصاب ضميره، واستغلال الطريقة التي يموت بها واتخاذها تعلة لإطلاق أحكام قيمية على الإنسان وماضيه! - سيكون علينا الآن، ورغم أنف كل مظاهر جبن الفكرة المسبقة، أن نعيد إثبات الوجه الحقيقي، أي الطابع الفزيولوجي لما يسمى موتا *طبيعيا*، وهو بالنهاية موت «لا طبيعي»، وانتحار. إن المرء لا يمضي إلى الهلاك على يد غيره، بل بنفسه يمضي الإنسان إلى حتفه. إلا أن الموت في ظروف مهينة يظل موتا غير حر، موتا في غير *الوقت المناسب*، موت جبناء.(١٠٣) وعلى المرء، من باب محبة *الحياة*، أن يريد الموت على نحو مغاير: موتا حرا واعيا،(١٠٤) بعيدا عن الصدفة ودون مباغتة... وأخيرا، هي ذي نصيحة للسادة المتشائمين وغيرهم من المنحطين. إننا لا نملك أن نمنع ولادتنا؛ لكنه بإمكاننا أن نصحح هذا الخطأ-إذ الأمر مجرد خطأ في بعض الأحيان-. وعندما يلغي امرؤ نفسه، فإنه يقوم بأكبر عمل جدير بالاحترام على الإطلاق؛ حتى لأنه يكاد يستأهل الحياة بموجبه... وإن للمجتمع، -ماذا أقول!- بل للحياة نفسها أكثر منفعة في ذلك مما يمكن أن يكون لها في أي ضرب من حياة الزهد والشحوب وفضائل أخرى، -بذلك يكون المجتمع قد تخلص من مشهد رؤيته، والحياة قد خُلصت من

---

(١٠٣) موت عبيد، يكتب نيتشه في مسودة هذه الفقرة التي ترد تحت عنوان «*إعادة الاعتبار إلى الانتحار*» في دفتر W II 6,134

(١٠٤) أن يسعى المرء إلى الموت بشجاعة ووعي وبشعور بالقوة. (المصدر أعلاه)

اعتراض. . . .[١٠٥] إن التشاؤم الخالص، الفج لا يثبت نفسه إلا عبر عملية النفي الذاتي التي يمارسها السادة المتشائمون: على المرء أن يمضي خطوة إلى الأمام داخل منطقِه، لا أن يكتفي بنفي الحياة عن طريق «الإرادة والتصور»[١٠٦] على غرار ما فعل شوبنهاور، -على المرء أن ينفي *الشوبنهاورية* أولا . . . والتشاؤم، بالمناسبة، مهما كان معديا، لا يضاعف من مرض عصر ما وجنس بكامله؛ إنما هو الحالة التي يعبر بها ذلك المرض عن نفسه. يصاب المرء به كما يصاب بالكوليرا؛ لابد أن يكون الإنسان على قدر كاف من الهشاشة الصحية إذن كي يصاب به. والتشاؤم في حد ذاته ليس هو الذي يجعل إنسانا ما منحطا. أذكّر هنا بنتائج إحصائيات مفادها أن السنوات التي عرفت انتشارا

---

(١٠٥) ترد هذه الجملة على الصيغة التالية في المصدر المذكور اعلاه:
«للمجتمع، -ماذا أقول!- بل للحياة نفسها أكثر منفعة في ذلك مما يمكن أن يكون لها في أي ضرب من حياة الزهد والبؤس واختقار الذات على غرار حياة باسكال (الوسيلة الوحيدة لمحاربة التشاؤم هو القضاء على السادة المتشائمين. وإنه بإمكان كل منا أن يقدم مساهمته في هذا المجال. وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنه كان بإمكان باسكال أن يكون أكثر نفعا عن طريق دحض باسكال مما أنجز بمديح المسيحية، «الباسكالية». . .) إن التشاؤم معدٍ؛ وهو، شأنه شأن الكوليرا، يصيب الطبائع المريضة، - تلك المحكوم عليها مسبقا.»
وبخصوص باسكال يمكننا أن نقارن بما يذكره عنه في «هذا هو الإنسان» (لم أنا على هذا القدر من الذكاء؛ الفقرة ٣): «أنا لا أقرأ باسكال، بل أحبه كنموذج مفيد لمن ذهل ضحية للمسيحية بقتل نفسه جسديا في البداية، ثم روحيا فيما بعد» (م)

(١٠٦) إشارة إلى الفكرة التي يطورها شوبنهاور في مؤلَّفه «العالم كإرادة وتصوّر»

ساحقا للكوليرا لم تكن تتميز عن بقية السنوات في ما يخص العدد الجملي للوفايات.

٣٧

هل صرنا أكثر أخلاقا؟ قوبل مفهوم «ماوراء الخير والشر»، كما كان متوقعا، بحملة عشواء من قِبل مجمل شراسة التبليد الأخلاقي، التي تحل محل الأخلاق نفسها في ألمانيا كما هو معروف: ويمكنني أن أروي أطرف الحكايات عن هذا الأمر. في المقام الأول طُرح علي أن أعيد التفكير بجدية في «التفوق الذي لا ينكر» لعصرنا الحاضر في مجال الأحكام الأخلاقية، *والتقدم* الحقيقي الذي أنجزناه في هذا المجال: مقارنة بنا، سيكون من مطلق المستحيل على واحد مثل سيزار بورجيا(١٠٧) أن ينال لقب «الإنسان الراقي»، أو نوع من «*الإنسان الأعلى*»، على غرار ما أفعل أنا... وقد ذهب محرر صحفي سويسري من صحيفة «بوند»،(١٠٨) إلى ما أبعد، ليس دون التعبير عن إعجابه بالشجاعة

---

(١٠٧) عسكري وحاكم من نبلاء إيطاليا عصر النهضة (١٤٧٥-١٥٠٧). عرف بتعطشه إلى السلطة وسعيه بكل الوسائل إلى القيصرية، وقد خاض لذلك الغرض أشد المعارك ضد حاكم روما والسلطة البابوية. وقد اشتهرت عنه هذه المقولة: «إما قيصر أو لاشيء». خلده ماكيافيللي في كتابه «الأمير» منوها بمقدراته السياسية ومؤهلاته، واعتبره نموذجا للحاكم الطاغية (الأمير).

(١٠٨) هو المحرر السويسري جوزيف فيكتور فيدمان الذي كتب سنة ١٨٨٦ تعليقا عن كتاب «ماوراء الخير والشر». وسيذكره نيتشه مرة أخرى في كتاب «هذا هو الإنسان» (لماذا أكتب كتبا جيدة؛ الفقرة ١)

التي ينطق بها مثل هذا العمل الجريء، وذلك في ما «فهمه» من أن المغزى الجوهري لعملي هذا يتمثل في أنني أقترح إلغاء كل المشاعر الشريفة. شكري الجزيل! -كجواب على ذلك، سأسمح لنفسي بأن أطرح هذا السؤال: *هل غدونا حقا أكثر أخلاقا؟* وبما أن العالم بكليته يعتقد ذلك، فإن ذلك في حد ذاته يمثل اعتراضا على المسألة... نتوهم حقا، نحن الحديثون المفرطون في اللين، شديدو الهشاشة، والمولعون بتبادل المراعاة والمداراة، أن هذه الإنسانية اللينة التي نجسدها، وهذا الإجماع *المحصَّل* على المراعاة وعلى الاستعداد للتعاون في ظل ثقة متبادلة، تجعلنا قد تجاوزنا بكثير إنسان عصر النهضة: لكن تلك هي فكرة كل عصر، وهكذا ينبغي لكل عصر أن يفكر. غير أنّ الثابت لدينا هو أنه لا يحق لنا أن نضع أنفسنا في موضع عصر النهضة، ولا حتى أن نتمثل أنفسنا داخله: فأعصابنا لا تملك القدرة على تحمل مثل ذلك الواقع، ناهيك عن عضلاتنا. هذا العجز لا يدل على أي تقدم، بل على بنية مغايرة فحسب، بنية أضعف، وألْين، وأكثر هشاشة، من منطلقها أصبح وضع أخلاق قائمة على *المراعاة* والمداراة أمرا ضروريا. وإذا ما طرحنا من ذهننا مسألة ليننا وتأخرنا الزمني وشيخوختنا الفزيزلوجية، فإن أخلاقنا «الإنسانوية» ستجد نفسها مباشرة مجردة من كل قيمة - ليس هناك من أخلاق ذات قيمة في ذاتها-؛ ولن تثير فينا، نحن أنفسنا، غير مشاعر الاحتقار. كما لا ينبغي من ناحية أخرى، أن نشك في أننا، نحن الحديثون، بإنسانيتنا المقطّنة بكل عناية والتي لا تريد بأي حال من الأحوال الارتطام بأي حجر، سيكون

بإمكاننا أن نمنح معاصرنا سيزار بورجيا نموذجا لكوميديا تتصدع لها الأضلع ضحكا. فنحن بالفعل، دون إرادة منا، على جانب كبير للغاية من الفكاهة بـ«فضائلنا» الحديثة... إن تراجع الغرائز العدوانية والارتيابية -ولعل هذا حقا هو وجه «التقدم» لدينا- لا يمثل سوى إحدى نتائج التراجع العام *للحيوية*: وسيكون علينا أن نبذل مئات أضعاف من الجهد ومن الحذر من أجل ضمان الوجود لكائن على مثل هذه التبعية وهذه الشيخوخة. هنا ينهض الجميع للمساعدة المتبادلة، وهنا يغدو كل واحد إلى حد ما مريضا وممرّضا في الآن نفسه. ذلك هو ما يدعى «فضيلة»-: بينما سيكون ذلك لدى بشر آخرين قد عرفوا الحياة على نحو مغاير أكثر امتلاء، وأكثر زخما، وأكثر تبذيرا، مما سيدعى «جبنا»، وربما «بؤسا»، و«أخلاق عجائز»... إن اللين الذي طرأ على آدابنا السلوكية -وهذه هي مقولتي، أو إن أردنا، *التجديد* الذي أدرجته- هو نتيجة للانحطاط؛ وعلى العكس من ذلك، يمكن لشدة وفظاعة الطبائع أن تكون نتيجة لفيض في الحيوية: لأنه عندها يكون بوسع الإنسان أن يغامر كثيرا، وأن يطالب بالكثير، وأن يبدد *الكثير* أيضا. كل ما كان بهارا للحياة في ما مضى، سيغدو *سما* بالنسبة لنا اليوم... اللامبالاة -وهي شكل من أشكال القوة أيضا-؛ ذلك ما لم نغْدُ بعد على قدْر من الوهن ومن الشيخوخة كيما نكون قادرين عليه: أخلاقنا القائمة على الشفقة-تلك التي كنت أول من حذر منها، ذلك الأمر الذي يمكن أن نسميه بالانطباعية الأخلاقية، هي بالأحرى تعبير عن الحساسية الفزيولوجية المفرطة التي تتناسب وكل ما هو منحط.

هذه الحركة التي حاولتْ -وبئس المحاولة- أن تقدم نفسها تحت قناع علمي من خلال **أخلاق الشفقة** لشوبنهاور، هي حركة الانحطاط الحقيقي في المجال الأخلاقي، وهي في ذلك ذات قرابة عميقة مع الأخلاق المسيحية. وقد كانت العصور القوية والثقافات النبيلة ترى في الشفقة، وفي «محبة القريب»، وفي ضعف الذات، وعدم الامتلاء بالذات شيئا مثيرا للاحتقار. إن الأزمنة تقاس بحسب *قواها الإيجابية*؛ ووفقا لهذا المقياس يتضح لنا أن زمن عصر النهضة، ذلك العصر الأكثر تبذيرا والأكثر مخاطرة، كان آخر *العصور العظمى*، بينما زمننا نحن، نحن الحديثون بمخاوف حيطتنا الذاتية ومحبتنا للقريب، وبالفضائل التي نضعها في العمل وفي الامحاء، والعدالة، والانضباط العلمي -مجمِّعون، مقتصدون، آليون-، إنما هو زمن *هزيل*... وبالتالي فإن فضائلنا محددة بضعفنا هذا، وهو الذي *يفرضها*... ذلك أن «المساواة»، كضرب من المماثلة الفعلية، والتي تعبر عن نفسها في نظرية «مساواة الحقوق»، تنتمي في جوهرها إلى إفرازات الانحطاط: فالتفاوت بين إنسان وإنسان، ووضع ووضع، وتعدد الأنواع، وإرادة أن يكون المرء ذاته، وأن يكون متميزا، *ذلك* الذي أسميه حس *المسافة*، هي من مميزات كل عصر *قوي*. أما اليوم، فإن قوة التوتر والمسافة بين النقيض والنقيض ما فتئت تتقلص، بل إن النقائض ذاتها راحت تمحي إلى حد التماهي... وكل نظرياتنا السياسية ودساتير الدولة، بما في ذلك «الرايش الألماني»، هي نتائج وضرورات حتمية للانحطاط؛ وقد امتد نفوذ التأثير اللاشعوري للانحطاط ليقتحم

المثل العليا لبعض من الاختصاصات العلمية أيضا. ويظل مأخذي على مجمل علم الاجتماع في فرنسا وإنكلترا أنه لا يعرف عن تجربة غير نتاجات التفكك المجتمعي، وبكل براءة، تُتخذ غرائز التفكك نفسها معايير للحكم السوسيولوجي. كما أن الحياة *المتدهورة* وتراجع كل القوى المنظمة، أي تلك التي تفرق وتعمق الفجوات وتشتغل على ترتيب المواضع رفعا وخفضا، تتم صياغتها اليوم مثالا نموذجيا من طرف علم الاجتماع. اشتراكيونا منحطون، لكن السيد سبنسر منحط هو أيضا؛ إذ يرى في انتصار الغيريّة شيئا مرغوبا!...

٣٨

مفهومي للحرية. إن قيمة شيء ما لا تحدد أحيانا بما نتوصل إليه من خلاله، بل بما ندفع مقابلا له -ماذا *يكلفنا*. أضرب لكم مثالا. تكف المؤسسات الليبرالية عن كونها ليبرالية حالما نكون قد توصلنا إليها: ولن يكون هناك بعدها من شيء أكثر إزعاجا وأعمق مضرة تجاه الحرية من المؤسسات اللليبرالية. إننا نعرف حقا ما الذي ينجر عنها: إنها تنخر أسس إرادة القوة، وهي تسوية الجبل بالوادي المكرّسة أخلاقا، وهي التي تجعل الإنسان حقيرا وجبانا وميالا إلى المتع؛- معها يكون الانتصار في كل مرة لحيوان القطيع. الليبراليية: بعبارة أوضح حضيرة *لتربية القطعان*.. لكن يمكن لهذه المؤسسات نفسها، طالما ظلت تقابل بالمقاومة، أن تفرز مفاعيل مغايرة؛ لأنها تكون عندها بالفعل حافزا قويا لجذوة الحرية على غاية الفعالية. وإذا ما نظرنا

إلى الأمر بأكثر دقة فإن الحرب هي التي تفرز هذه المفاعيل؛ الحرب من أجل المؤسسات الليبرالية، التي، بصفتها حربا، تمكّن الغرائز *المناقضة لليبرالية* من مواصلة البقاء. والحرب هي التي تربي على الحرية. إذ، ماذا تعني الحرية؟ إنها تعني أن يكون للمرء إرادة المسؤولية عن النفس. أن يظل المرء محافظا على المسافة التي تفصل بيننا. أن يغدو المرء لا مباليا تجاه الجهد والقسوة والحرمان، بل وتجاه الحياة أيضا، وأن يكون المرء على استعداد للتضحية بعدد من الناس، دون استثناء نفسه أيضا، من أجل قضيته. فالحرية تعني سيطرة الغرائز الذكورية والحربية وغرائز الانتصار على بقية الغرائز، مثل غريزة إيثار «السعادة». إن **الإنسان الذي تحقق له التحرر**، وأكثر منه **العقل الذي تحقق له التحرر** يدوس بقدميه على ذلك النوع الحقير من الطمأنينة التي يحلم بها البقال، والمسيحي، والأبقار، والنساء، والإنكليز وغيرهم من الديمقراطيين. الإنسان الحر **محارب**. - بماذا تقاس الحرية لدى الأفراد كما لدى الشعوب؟ بمدى المقاومة، وضرورة التغلب على الذات، وبمدى الجهد الذي يتطلبه البقاء في مرتبة *المتفوق*. وعلى من يريد العثور على النموذج الأرقى للإنسان الحر أن يبحث عنه هناك حيث تجري على الدوام مغالبة لأقوى أنواع المقاومة؛ قيد أنملة من الاستبداد، وعلى عتبة خطر الوقوع في العبودية. وهذا أمر صحيح من وجهة النظر البسيكولوجية إذا ما فهمنا من «الاستبداد» تلك الغرائز الفظيعة الشرسة التي تستدعي أقصى درجات الصرامة والترويض لمحاربتها-أجمل نموذج لذلك يوليوس قيصر-؛

والأمر نفسه صحيح من وجهة النظر السياسية أيضا، وتكفينا جولة عبر التاريخ لمعاينة هذا الأمر. سنرى عندها أن الشعوب التي كان لها قدر من قيمة، والتي *أصبحت* على قدر من القيمة، لم يكن لها أبدا أن تصبح كذلك في ظل مؤسسات ليبرالية[١٠٩]: *الخطر العظيم* هو الذي جعل منها شيئا جديرا بالاحترام، الخوف

---

(١٠٩) الفقرتان ٣٨ و٣٩ قد وردتا في دفتر W II 6 في صياغة أولية منتظمة في ٦ فقرات تحت عنوان: «الحداثة. 'فادوميكوكوم' لإنسان المستقبل». وقد جاءت الفوارق طفيفة بينها وبين الصيغة النهائية التي اتخذتها في «غسق الأوثان»، لذلك عدلنا عن إيرادها كاملة كما فعلنا مع بعض الفقرات الأخرى. لكن ابتداء من هذا الموقع من الفقرة (المشار له برقم الهامش) نلاحظ انفصالا نسبيا للنص النهائي عن الصيغة الأصلية (أو الفقرتان رقم ٤ و٥) التي ترد كما يلي: ٤: «ينبغي أن لا يكون أمام المرء من خيار: إما أن يكون في مرتبة الفوق، أو [في الأسفل، مثل دودة]، محقّرا، مسحوقا ومداسا بالقدمين. يجب أن يكون المرء مواجها باالطغيان، الطغيان من كل ضرب ونوع: طغيان الأوضاع المحيطة، طغيان المؤسسات، طغيان المنافسين، وطغيان غرائزه الخاصة: وبذلك فقط يبلغ المرء مستواه الأقصى من «الحرية»، أي من الجرأة والوثوق والمهابة والروحانية. وينطبق هذا على المجتمعات الأرستقراطية من نوع روما وفينيسيا، أكبر محضنتين لتربية الرجال الأقوياء مما وجد إلى حد الآن: لقد كانت جميعها لا تفهم الحرية إلا كشيء يظل المرء يسعى على الدوام إلى انتزاعه.

الفقرة ٥: إن غريزة الإرادة والتقليد هي ما يجد نفسه اليوم مستهدفا في العمق أكثر من أي شيء آخر. وكل المؤسسات التي تدين بوجودها لهذه الغريزة تجد نفسها في تعارض مع ذائقة العقل الحديث. . . وليس هناك في العمق من قول أو عمل لا يجعل مبتغاه اليوم اجتثاث ذلك الحس بالموروث من الأعماق. يعتبر المرء التراث كقدر، وتتم دراسته، ويُعترف به (كـ«وراثة» مثلا)، - لكنه لا يُرغب فيه. الإرادة التي تمتد على مدى =

الذي لقننا معرفة وسائل حياتنا وفضائلنا وطرق الدفاع عن أنفسنا وأسلحتنا وعقلنا؛ الخوف الذي يجبرنا على أن نكون أقوياء. . . المبدأ *الأول* في ذلك: لابد أن يكون الإنسان في حاجة إلى أن يكون قويا، وإلا فإنه لن يصبح كذلك أبدا. لقد كانت لتلك المَحْضنات العظمى لإنجاب الأقوياء ولأقوى جنس بشري على الإطلاق، تلك المجتمعات الأرستقراطية على غرار ما كان في روما وفينيسيا، كان لها فهم للحرية موافق لما أفهمه من عبارة حرية: كشيء نملكه ولا نملكه، شيء نريده، شيء يكون علينا أن ننتزعه. . .

٣٩

نقد الحداثة. لم يعد لمؤسساتنا من قيمة تذكر: كلنا متفقون حول هذا الأمر. لكن الخطأ لا يكمن فيها، بل فينا نحن. فبعد أن أضعنا كل الغرائز التي نشأت عنها المؤسسات، ضاعت منا تلك المؤسسات أيضا، لأننا لم نعد أكفاء لها. لقد كان التوجه الديمقراطي في كل عصرٍ الشكلَ المميز لتدهور القوة المنظِّمة: وقد سبق لي في «إنساني مفرط في الإنسانية» (١، ٣١٨) أن نعتّ الديمقراطية، بما في ذلك نسخها المشوهة مثل «الرايش الألماني»، **كشكل لتفكك الدولة**. ولكي تكون هناك

= عريض من الزمن، واختيار أوضاع وتقييمات تجعل المرء قادرا على تحديد المستقبل لعدة قرون من الزمن، ذلك بالتحديد هو ما يمثل أكثر من أي أمر آخر نقيضا للحداثة. ينتج عن ذلك أن عصرنا يستمد طابعه من مبادئه المضطربة. -إنه عصر *انحطاط*.

مؤسسات لا بد أن يكون هناك نوع من إرادة، غريزة، ملزم، مناهضة لليبرالية حد الشراسة: إرادةُ تمسك بالتقاليد، وإرادة سلطة، وإرادة مسؤولية تمتد على مدى قرون، وإرادة تضامن سلاسل أجيال متصلة الامتداد في الماضي والمستقبل *in infinitum*-إلى ما لانهاية. وإذا ما توفرت مثل هذه الإرادة، يتأسس عندها شيء مثل الإمبراطورية الرومانية؛ أو مثل روسيا، القوة *الوحيدة* التي تحمل اليوم عناصر الديمومة في شرايينها، والتي تستطيع أن تنتظر، والتي ما زالت تستطيع أن تعد بشيء؛ روسيا، صورة المفهوم النقيض لكيانات الدويلات الأوروبية البائسة، وللتشنج الذي بلغ حالة الخطر البليغ مع تأسيس الرايش الألماني... لم يعد للعالم الغربي بكليته تلك الغرائز التي تنشأ عنها المؤسسات، وينشأ عنها مستقبل: ما من شيء هناك ليناقض بقوة «روحه الحديثة». يعيش المرء للّحظة، يعيش بسرعة فائقة؛-يعيش على نحو لا مسؤول للغاية: وذلك بالذات هو ما يدعى «حرية». وكل ما يجعل من المؤسسات مؤسسات، يكون محتقرا، منبوذا، ومرفوضا: يشعر الإنسان بنفسه مهددا بخطر نوع جديد من العبودية لمجرد أن يُنطق أمامه بعبارة «سلطة» بصوت مسموع. إلى هذا الحد يذهب انحطاط الغرائز القيمية لدى رجال السياسة عندنا ولدى أحزابنا: يبجلون *غريزيا* كل ما يصيب بالانحلال، وما يعجّل بحلول النهاية... أفضل شاهد على ذلك هو *الزواج العصري*. لقد غدا واضحا للعيان أن الزواج العصري أصبح يفتقر إلى المعقولية؛ لكن هذا ليس مأخذا على الزواج نفسه، بل على الحداثة. كانت حكمة الرابطة الزوجية

تكمن في المسؤولية الشرعية الحصرية للرجل: وبموجب ذلك كان للعلاقة الزوجية مركز ثقل، أما اليوم فهي تعرج على قدمين إثنين. كانت حكمة الرابطة الزوجية تكمن في الاستحالة المبدئية لانفصامها؛ ذلك هو ما أكسبها نبرة قوية بمستطاعها أن تجعل *كلمتها* مسموعة أمام مفاعيل الصدفة، والمشاعر، والصبوات، وانفعالات اللحظة. كما كانت تلك الحكمة تكمن في مسؤولية العائلات في اختيار الأزواج. أما التسامح المطرد تجاه *زيجات الحب* فقد ألغى القاعدة التي تقوم عليها الرابطة الزوجية وهي وحدها التي تجعل منها مؤسسة. فالمرء لا يستطيع البتة أن يكوّن مؤسسة على قاعدة مزاجية، ولا يمكن أن نؤسس رابطة زوجية على قاعدة «الحب» كما قلنا سالفا؛ إنما تتأسس الرابطة الزوجية على الغريزة الجنسية، وعلى غريزة التملك (المرأة والطفل كملكية)، وعلى غريزة *السيطرة* التي تنتظم بصفة دائمة داخل الإطار المصغر للسلطة، وهي العائلة، والتي *تحتاج* إلى أطفال وورثة كي تتمكن من ضمان الثبات والديمومة الفزيولوجية أيضا للمقدار المحصل لديها من قوة وتأثير وثراء، ولكي تهيئ لمهمات طويلة المدى ولروابط غرائز تضامنية تمتد على مدى قرون من الزمن. الزواج كمؤسسة يتضمن في ذاته إثباتا للشكل التنظيمي الأكبر والأكثر ديمومة: وعندما يصبح المجتمع نفسه غير قادر في كليته على إثبات مصداقيته لنفسه حتى أقصى ما تمتد إليه أجياله اللاحقة، فإنه لن يعود هناك من معنى للزواج. -لقد افتقدت الرابطة الزوجية الحديثة معناها، -وبالتالي يتم إلغاؤها.-

٤٠

المسألة العمالية. إن الغباء، أو انحلال الغرائز الذي تنشأ عنه **كل** أنواع الغباء اليوم، هو السبب في وجود شيء إسمه «مسألة عمالية». هناك أشياء لا يحق *أن نسأل* عنها: أول مُلزِم غريزي. -وأنا لا أرى البتة ما الذي سنفعله بالعامل الأوروبي بعد أن جعلنا منه *مسألة*. إنه في وضع جيد للغاية كي لا يتمادى في السؤال أكثر فأكثر وبطريقة أقل فأقل تواضعا. وهو بالنهاية صاحب العدد الأكبر. إنه لمن الميؤوس منه تماما أن نشهد هنا تكوّن نوع من البشر المتواضعين والقنوعين، نوع من النمط الصيني؛ ولكم سيكون ذلك من باب الحكمة، ولكم سيكون ذلك ضروريا! ماذا فعلنا ياترى؟ -لقد فعلنا كل شيء من أجل القضاء في المهد على شرط حصول مثل هذه الإمكانية. قضينا بموجب عماء ذهني لامسؤول على الغرائز التي تجعل العامل كحالة أمرا ممكنا، أن يكون هو *كما* هو أمرا ممكنا. صنعنا من العامل عنصرا صالحا للجنديّة، ومنحناه حق التحالفات السياسية وحق الانتخاب: أي غرابة إذن في أن يتراءى له وجوده اليوم كوضع شقاء (أو بعبارة أخلاقية كـ*مظلمة*)؟ لكن، مرة أخرى، ماذا نريد ياترى؟ إن كنا نريد غاية، فسيكون علينا أن نريد الوسيلة أيضا: وبالتالي، إن كنا نريد عبيدا، فإننا سنكون حمقى إذا ما ربيناهم تربية أسياد. -

«الحرية، كما لا أريدها. . .»(١١٠) - إنها كارثة إضافية، أن يستسلم المرء إلى غرائزه في زمن مثل زمننا الحاضر. تتناقض هذه الغرائز في ما بينها، وتدخل الضيم على بعضها، وتدمر بعضها البعض؛ لقد سبق لي أن عرّفت *الحداثة* بأنها تناقض فزيزلوجي داخلي. والحكمة التربوية ستتطلب أن يتم إخضاع واحد من الأنظمة الغريزية على الأقل إلى ضغط ساحق بهدف *شل* حركته، حتى يُمكَّن واحد آخر من الانتعاش، ومن أن يغدو قويا، ويصير سيدا. ولن يستقيم لنا اليوم أن نجعل الفرد ممكنا مالم يكن علينا أن نمارس عليه عمل بتر أولا: ممكنا، يعني متكاملا. . . لكن العكس هو الذي يحدث: إن المطالبة بالاستقلال، وبحرية النمو، وبالتسيب تأتي أكثر ما تأتي، وبحماسة متوقدة على ألسنة أولئك الذين هم في الحقيقة بحاجة أكثر من غيرهم إلى *أشد القيود* صلابة؛ وينطبق هذا على المجال السياسي، كما ينطبق على الفن. لكنّ ذلك عرَض *انحطاط* في الحقيقة: إن مفهومنا الحديث عن «الحرية» دليل إضافي على غريزة الانحطاط. -

(١١٠) إشارة إلى بيت شهير للشاعر ماكس فون شنْكنْدورف (١٧٨٣-١٨١٧) من قصيدة *الحرية*: «الحرية، كما أريدها.»

٤٢

أين يغدو الإيمان ضرورة. ما من شيء أكثر ندرة من الصدق لدى الأخلاقانيين والقديسين؛ ولعلهم يدّعون العكس، بل ولعلهم **يؤمنون** بذلك أيضا. وعندما يكون الإيمان أكثر فائدة، وأكثر تأثيرا، وأكثر قدرة على الإقناع من النفاق *الواعي*، عندها يصبح النفاق، وبصفة غريزية، *براءة*: مبدأ أول لفهم كبار القديسين. ولدى الفلاسفة أيضا، ذلك الجنس الآخر من القديسين، تقتضي أعراف الصناعة لديهم أن لا يسمحوا إلا بنوع محدد من الحقائق: أي تلك التي تجعل صناعتهم تحظى بالمصادقة *العمومية*-بعبارة كانطية، حقائق العقل *العَمَلي*. إنهم يعلمون ما الذي ينبغي *عليهم* أن يبرهنوا عليه، وهم في هذا عمليون حقا،- وهم يتعرفون على بعضهم البعض بما يحصل بينهم من اتفاق حول «الحقائق». «لا ينبغي أن تكذب»؛ بعبارة أوضح: *إياك*، سيدي الفيلسوف، أن تقول الحقيقة. . .

٤٣

همسات في أذن المحافظين. ما لم نكن نعرفه من قبل؛ ما نعرفه اليوم، وما يمكننا أن نعرفه هو أن *الارتداد* وكل عودة إلى الوراء بأي معنى ومن أي درجة أمر غير ممكن البتة. ونحن، الفزيولوجيون على الأقل، نعرف ذلك. غير أن القساوسة والأخلاقانيين جميعا قد آمنوا جميعا بذلك؛ *أرادوا* أن يعودوا بالإنسانية إلى معايير قديمة للفضيلة، وأن يديروا عقاربها إلى

الوراء. فالأخلاق لم تكن على الدوام شيئا آخر غير «سرير بروكروست»[111]. وحتى رجال السياسة، قد نسجوا هم أيضا على منوال دعاة الفضيلة؛ وما تزال هناك إلى اليوم أحزاب تحلم بجعل كل الأشياء تتحرك القهقرى على غرار سرطان الماء. لكن لا أحد بيده أن يكون سرطانا. ما من حل هناك إذن: علينا أن نمضي قدما، أعني أن نظل نمضي خطوة خطوة متوغلين في *الانحطاط* (هذا هو تعريفي لـ«التقدم» الحديث...). بإمكان المرء أن *يعرقل* هذا التطور، وأن يعيق مسار الانحلال عبر هذه العرقلة، أن يحدث بذلك اكتظاظا وتكثفا، ويجعله أكثر حدة *وأكثر مفاجأة*: لكننا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك. -

٤٤

مفهومي للعبقرية. عظماء الرجال مثل الأزمنة العظمى، مواد انفجارية تراكمت داخلها كمية هائلة من الطاقة؛ ويتمثل الشرط الأولي لظهورهم، تاريخيا وفيزيولوجيا، في أنه يتم دوما التهيئة لهم لمدة طويلة من الزمن تجميعا ومراكمة وتوفيرا

---

(١١١) المؤسسة التي تمارس على الإنسان عمل التشذيب والبتر والإقصاء بهدف جعله مطابقا للنمط الذي ترسمه تصوراتها الخاصة. والعبارة تنحدر من الميثولوجيا الإغريقية عن وسيلة تعذيب شنيعة قد توخاها قاطع طرقات شنيع كان يوثق ضحاياه من المسافرين الذين يقتنصهم فوق سرير من الحديد ويمارس عليهم عملية تعذيبه الغريبة ببتر قدمي من تتجاوز قامتهم طول السرير، أما من كانوا أقصر قامة فتمطط أرجلهم قسرا وبصفة متواصلة حتى يصبحوا على مقاس السرير (المترجم).

وحفظا،[١١٢] -أن ليس هناك من انفجار يكون قد حدث منذ مدة طويلة من الزمن! -وعندما يبلغ التوتر حدا أقصى داخل الكتلة المادية، يصبح أي مثير عرضيّ كافيا لاستدعاء «العبقرية» و«الفعل» والقدر العظيم إلى الظهور. أية أهمية عندها للمحيط، وللعصر و«روح العصر»، و«للرأي العام»!-لنأخذ حالة نابليون مثالا على ذلك. لقد كان من المفترض في فرنسا الثورة، وأكثر منها فرنسا عصر ما قبل الثورة، أن تفرز النموذج النقيض لما تمثله شخصية نابليون: لكنها أفرزته هو. ولأن نابليون كان من نوع مغاير، وريثا لحضارة أكثر قوة، وأكثر امتدادا في الزمن، وأكثر عراقة من تلك التي كانت في طور التفكك والانحلال في فرنسا ذلك الزمن، فإنه غدا سيدا هناك. وغدا سيدا لوحده هناك. إن الرجال العظام ضرورة، بينما العصر الذي يظهرون فيه مجرد صدفة. وإذا ما كان لهم أن يكونوا دوما أسيادا على ذلك العصر، فإن ذلك يعود فقط إلى كونهم أقوى، وأنه قد هُيّئ لمجيئهم بمراكمات على مدى أطول من الزمن. ما بين العبقري وعصره هناك علاقة شبيهة بالعلاقة بين القوي والضعيف، و كذلك مثل تلك التي بين الكهل والغر: فالعصر يكون نسبيا أقصر عمرا بكثير على الدوام، وأقل امتلاء، وأقل نضجا، وأقل وثوقا، وأكثر صبيانية. -أما أن يكون الناس في فرنسا اليوم على رأي

---

(١١٢) أنظر «هذا هو الإنسان» (لم أنا على هذا القدر من الحكمة؛ الفقرة ٣): «. . .فالطبائع السامية لها أصولها في ماض بعيد لامتناه، وهي حصيلة لجملة من التجميع والتخزين والتراكمات الطويلة.»

مغاير (كما في ألمانيا أيضا؛ لكن ذلك لا يهمنا الآن)، وأن تكون نظرية الوسط -نظرية عُصابيين حقا- قد تحولت إلى شيء قريب من الحقيقة العلمية ولها من يقر بها حتى من بين الفزيولوجيين، فإن هذا ما يبعث رائحة كريهة، وهو ما يثير فينا أفكارا محزنة.- كما لا يختلف الأمر في إنكلترا أيضا، إلا أنه ما من أحد هناك ليقلق لذلك. فالإنكليزي له مسلكين فقط للتعامل مع العبقري و«الرجل العظيم»: إما بطريقة ديمقراطية على نحو بوكل(١١٣)، أو بطريقة دينية على غرار كارليل.

إن الخطر الذي يكمن في عظماء الرجال و في العصور العظمى كبير للغاية: الانهاك من كل نوع، والعقم يتبعان ظهورهم قدما بقدم. فعصر النهضة العظيم كان نهاية. والعبقري -في الفعل والعمل- مبذر بالضرورة: أن ينفق نفسه بلا حساب، تلك هي عظمته... لديه تغدو غريزة البقاء (والحفاظ على النفس) معلّقة؛ فالضغط العاتي الذي يحدثه دفق الطاقات المندفعة يحول دونه ودون كل نوع من الحماية والحذر. سيدعو الناس ذلك «تضحية»؛ وسيمتدح الناس «بطولته» وإعراضه عن رفاهه الخاص، وتفانيه في خدمة فكرة، أو قضية كبرى، أو وطن: سوء فهم هو ذلك، ولا شيء غير سوء فهم... إنه يطفح، ويفيض، وينفق نفسه، ولا يصون طاقاته، كل ذلك

---

(١١٣) هنري توماس بوكل Buckle (١٨٢١-١٨٦٢)، مؤرخ بريطاني ضبط في مؤلفه (-History of Civilisation in England 2 vol, London 1857 1861) بعض القوانين التي تتحكم في سعي الإنسان إلى التقدم (المترجم).

بضرب من القدرية وتحت سطوة قوة طاغية، ودون إرادة منه، تماما مثل النهر يفيض على الضفاف مكرها ودون إرادة منه. لكن، ولأننا ندين بالكثير لهذه الكائنات الانفجارية فإننا نغمرها بالكثير من التكريمات، بنوع من *الأخلاق الراقية* مثلا... تلك هي طريقة الإنسانية في الاعتراف بالجميل: أن تسيء فهم المحسنين إليها...

٤٥

عن المجرم ومن شابهه. نوع المجرم هو نوع الإنسان القوي الذي يجد نفسه داخل ظروف غير ملائمة؛ إنسان قوي حولته ظروف بعينها إلى مريض. إنسان يحتاج إلى محيط متوحّش؛ إلى طبيعة ونمط وجود أكثر حرية وأكثر مخاطرَ، داخلها يكون كل ما يمثل بالنسبة لغريزة لإنسان القوي سلاحا ووسيلة دفاع *حقا* مشروعا لا ينازعه فيه أحد. فضائله تجد نفسها منبوذة من طرف المجتمع؛ والغرائز الأكثر حيوية التي تولد معه تتشوه في نموها بإحساسات الإحباط، وبما يحاط به من الريبة والخوف والعار. لكن، أليست هذه هي الوصفة المثلى تقريبا للانحطاط الفزيولوجي! فالذي يجد نفسه مجبرا على أن يأتي في السر ما يستطيع القيام به جيدا، وما يحبذ فعله، وأن يظل يفعل ذلك في ظل الحذر والحيلة وتحت توتر طويل المدى، سيغدو حتما أنيميّا؛ ولأنه سيظل لا يجني من غرائزه غير المخاطر والملاحقة والخطوب، فإنه سيرى مشاعره تنقلب على تلك الغرائز؛ -سيشعر بها لعنة قدر مسلط عليه. إن مجتمعنا، مجتمعا

مدجَّنا، رديئا، منشطرا هو الذي يجعل من إنسان ملاصق للطبيعة، من رجل قادم من الجبال أو من لجة المغامرات البحرية، ينحط ضرورة إلى منزلة المجرم،- أو بشبه ضرورة، إذ تظل هناك أيضا حالات يستطيع فيها إنسان من هذا النوع أن يبرهن على أنه أقوى من المجتمع: حالة الكورسيكي نابليون هي أشهر مثال على ذلك. وبالنسبة للمشكلة التي نحن بصددها، تمثل حالة دوستويفسكي أفضل شاهد على ذلك؛ حالة دوستويفسكي، الخبير النفساني، الوحيد بالمناسبة الذي كان لي ما أتعلمه منه؛ إنه إحدى أكبر المصادفات السعيدة في حياتي، أكبر حتى من اكتشافي لستاندال.(١١٤) ذلك الإنسان العميق الذي كان معه ألف حق في أن لا يعير أهمية تذكر للألمان المسطحين، قد رأى في سجون سيبيريا التي عاش لمدة طويلة داخلها، وفي أولئك السجناء من كبار المجرمين الذين لم يعد لهم من طريق

---

(١١٤) أنظر رسالة نيتشه إلى بيتر غاست بتاريخ ١٣ فبراير ١٨٨٧: «هل تعرفون دوستويفسكي؟ في ما عدا ستندال ليس هناك من أحد استطاع أن يمنحني هذا القدر الهائل من المتعة ومن المفاجآت: إنه خبير نفساني «أفهم نفسي» من خلاله. (ملاحظة: هناك شيء من الالتباس في العبارة الألمانية الأصلية: 'mit dem 'ich mich verstehe التي يمكن أن تعني: أجد نفسي في تفاهم معه. لكن وضع عبارة 'ich mich verstehe' بين الظفرين يجعلنا نميل إلى فهمها على النحو الذي ترجمناها به. ولعل الالتباس مقصود هنا، كما هو الشأن مع نيتشه في العديد من الأحيان، بحيث يمكن للعبارة أن تفيد في الآن نفسه أنه يجد نفسه على تفاهم تام مع دوستويفسكي، وأن دوستويفسكي، كخبير نفساني يمكّنه من فهم نفسه أيضا.)

للعودة إلى المجتمع، رأى فيهم شيئا آخر مختلفا تماما عما كان ينتظره هو نفسه؛ أحس فيهم تقريبا رجالا منحوتين من أجود وأمتن وأثمن خشب مما ينبت فوق الأرض الروسية. لنعمم حالة المجرم: لنتصور طبائع لا تحظى، لسبب أو لآخر، باعتراف الرأي العام، وتعرف أنها لا تُعتبَر لا من المحسنين، ولا من المفيدين؛- إحساس مماثل لشعور الشاندالا، بأن الشخص المعني لا يُعتبر مساويا، بل مقصى، دون كرامة، ومدنَّسا. كل هذه الطبائع تظهر، في كل أفعالها وتفكيرها، تحت إضاءة دهليزية؛ كل شيء فيها سيبدو أكثر شحوبا مما لدى أولئك الذين تنير وجودهم أضواء النهار الساطعة. لكنّ أغلب أنماط الوجود التي نحيطها اليوم بآيات الإكبار قد عرفت في ما مضى تجربة الحياة داخل هواء الأقبية الشبيهة بالقبور: رجل العلم، والفنان، والعبقري، والعقل الحر، والممثل، والتاجر، والمستكشف العظيم... وطالما ظل *القس* مكرَّسًا نوعا أرقى في المجتمع، كان التبخيس نصيب *كل* إنسان ذي قيمة هامة... لكنه آتٍ - أعدكم بذلك- ذلك الزمن الذي سيصبح للقس فيه منزلة *أدنى الناس*، منزلة الشاندالا لدينا، النوع الأكثر كذبا، والأكثر بعدا عن الاستقامة من بين الناس.. وأود أن أجلب الانتباه إلى أنه، وحتى يومنا هذا، وفي ظل أكثر النظم الأخلاقية لينًا مما عرفت الأرض، في أوروبا على الأقل، سيكون لكل هامشية، وكل احتلال *لموقع الدون* لمدة طويلة وطويلة جدا، وكل نمط وجود غامض وعلى نحو غير معتاد أن تظل تقرّب صاحبها من ذلك النمط الذي يعرف اكتماله لدى المجرم. كل المجددين في

المجال الفكري قد حملوا على جبينهم لفترة من الزمن وصمة القدر الشاحب والمحتوم للشاندالا، **لا** لأنهم هكذا كانوا يُعتبَرون، بل لأنهم كانوا، هم أنفسهم، يشعرون بالهوة الشنيعة التي تفصلهم عن كل متداوَل ومحاط بالتقدير والإكبار. ما من عبقري تقريبا، إلا وقد عرف كمرحلة من تطوره، تجربة «الحياة الكاتيلينية»(*)؛ إحساس بالنقمة، ورغبة انتقام، وثورة على كل ما هو كائن متحقق، وما كف عن *أن يصير*. . . كاتيلينا:(١١٥) شكل الوجود القبْلي **لكل** قيصر. –

٤٦

الرؤية واضحة هنا.(١١٦) قد يكون ذلك من باب سمو النفس أن يعمد فيلسوف إلى الصمت، وقد يناقض الفيلسوف نفسه بدافع من المحبة. ومن الممكن أيضا أن يعمد العارف إلى

(*) أنظر الهامش ١٠٩.

(١١٥) لوسيوس سيرجيوس كاتيلينا. رجل سياسة روماني من القرن الأول قبل الميلاد. التصق اسمه في تاريخ روما بمؤامراته بهدف الانقلاب على السلطة القنصلية والاستحواذ على الحكم. والمؤامرة الكاتيلينية الشهيرة هي تلك التي حاول القيام بها سنة ٦٣ ق.م بعد أن خسر الانتخابات القنصلية سنة ٦٤ أمام شيشرون. وقد تفطن شيشرون إلى المؤامرة وكشفها أمام مجلس الشيوخ في خطاب شهير استهله بهذه الكلمات: «إلى متى ستظل تستهين بصبرنا يا كاتيلينا؟» وكان قد سبق لكاتيلينا أن قاد تدبير مؤامرة سابقة للاستيلاء على الحكم في سنة ٦٥ ق م. كان مصيرها الفشل هي أيضا. (م)

(١١٦) غوته، فاوست II، ١١٩٨٩.

الكذب من باب الأدب. وليس دون رهافة ذوق أن قال أحدهم: *"il est indigne des grands coeurs de répandre le trouble, qu'ils ressentent"*(١١٧) -«إنه لمن غير اللائق بالأنفس الكريمة أن تنشر القلق الذي تشعر به»-: غير أنه ينبغي أن نضيف أن عدم الخوف أمام أكبر الأشياء مهانة يمكن أن يكون من باب سمو النفس هو أيضا. إن امرأة تحب، تضحي بشرفها، وفيلسوفا «يحب» قد يضحي بإنسانيته، وإلها أحب قد صار يهوديا...

٤٧

الجمال ليس مصادفة. جمال جنس أو عائلة، وكذلك لطافته والحسن الذي يطبع كل حركة من حركاته أشياء يربيها ذلك الجنس في نفسه هي أيضا: إنها، تماما مثل العبقرية، نتيجة وحاصل تراكمات لعمل أجيال بأكملها. لابد أن تكون هناك تضحيات كبيرة قد قدمت من أجل الذوق الرفيع، وعمل كبير قد أنجز، وأشياء كثيرة قد تم التخلي عنها -و يعد القرن السابع عشر الفرنسي جديرا بالتقدير بهذا الخصوص-. لا بد أن يكون الذوق الرفيع قد تحول إلى مبدأ اختيار في المعاملات الاجتماعية وفي الإطار المكاني والملبس وإشباع الرغبات الجنسية؛ ولا بد أن يكون الجمال قد حظي بالتبجيل والأفضلية على العادة والرأي والاستسلام إلى الكسل. قاعدة القواعد: على المرء أن لا

---

(١١٧) المقولة لكلوتيلد دي فو (Clothilde de Vaux) - الهامش من وضع هنري ألبرت أحد المترجمين الفرنسيين.

يستسلم البتة إلى الإهمال حتى أمام نفسه. -الأشياء الجيدة غالية بما لايقاس بثمن: ويظل القانون الدائم في هذا الأمر هو أن الذي يمتلكها يظل غير الذي *يكتسبها*: فكل ما هو حسن موروث؛ وكل ما ليس موروثا ناقص، مجرد بداية... لقد كان الفتيان والرجال في أثينا، في زمن شيشرون الذي عبر عن مفاجأته بذلك، يفوقون النساء جمالا: لكن أي عمل، وأي جهد كان على جنس الذكور أن يأخذ على عاتقة على مدى القرون من أجل بلوغ ذلك الجمال! لكن لا ينبغي أن ننساق إلى الخطأ بشأن الطريقة المتوخاة هنا: إن مجرد ترويض للمشاعر والأفكار يكاد يساوي لاشيء (-هنا يكمن الخطأ الكبير للتربية الألمانية، التي لا تعدو كونها وهما خالصا): علينا أن نقنع *الجسد* أولا. على المرء أن يتمسك بصرامة بنوع من الهيآت الجسدية المهمة والمتميّزة، وأن يلتزم بأن لا يختلط إلا بأناس لا «يستسلمون إلى الإهمال»، وسيكون ذلك كافيا تماما لكي يغدو مهما ومتميزا: وبعد جيلين أو ثلاثة أجيال سيكون كل شيء قد غدا *مستبطَنا*. إنه لمن الأهمية بمكان بالنسبة لمصير شعب، ولمصير الإنسانية أن نبدأ التربية الثقافية من الموقع *الصحيح*؛ -لا من «الروح» (كما كان يفعل المعتقد المشؤوم للقساوسة وأشباه القساوسة): الموقع الصحيح هو الجسد، والحركات الجسدية، والنظام الغذائي، والحالة الفزيولوجية، أما البقية فتتبع... لذلك سيظل الإغريق *الحدث الثقافي الأول* في تاريخ الإنسانية؛ كانوا يعرفون، وكانوا يفعلون ما هو ضروري؛ أما المسيحية، التي كانت تبخّس الجسد، فقد كانت أكبر نكبة حلت بالإنسانية إلى حد الآن.-

التقدم كما أراه. أنا أيضا أتكلم عن «عودة إلى الطبيعة»، وإن كان الأمر لا يتعلق في الحقيقة بعودة إلى الوراء، بل بـ*ارتقاء* -صعودا إلى طبيعة راقية حرة وفظيعة أيضا، ونمط طبيعي يلعب، ويحق له أن يلعب بمهمات عظيمة. . . ولكي نعبر عن هذا بلغة الأمثال: كان نابليون نوعا من «العودة إلى الطبيعة»، على النحو الذي أفهمه من العودة إلى الطبيعة، في (in rebus tacitus مثلا، وأكثر من ذلك في مسائل التخطيط الحربي، كما يعرف ذلك العسكريون). أما روسو، فإلى أي شيء يريد أن يعود *هذا* الرجل؟ روسو، هذا الإنسان الحديث الأول: مثالي وسوقي في شخص واحد، ذلك الذي كان في حاجة إلى «كرامة» معنوية كي يستطيع تحمّل الهيأة الخاصة لشخصيته؛ مريض بغرور منفلت من كل قيد وباحتقار للنفس دون حدود. هذا الطِّرح الذي يقبع على عتبة العصر الحديث، كان يريد «العودة إلى االطبيعة» هو أيضا؛-ومرة أخرى، نعيد السؤال نفسه: إلى أين كان روسو يريد أن يعود؟ -أمقت روسو في الثورة أيضا؛ إنها التعبير التاريخي الكوني عن ازدواجية المثالي والسوقي. والمهزلة الدموية التي جرت بها تلك الثورة، و«لاأخلاقيتها» لا تعنيني كثيرا؛ ما أمقته فيها هو *الأخلاقية* الروسويّة،-«الحقائق» المزعومة للثورة، التي تجعلها ما تزال قادرة على التأثير وعلى إقناع كل مسطح ورديء.

نظرية المساواة![118]. . . ليس هناك من سم أكثر تسميما من هذه النظرية: فهي تبدو كما لو أنها تعليم من تعاليم العدالة نفسها، بينما هي نهاية العدالة. . . «مساواة بين المتساوين، ولامساواة بين اللامتساوين-ذلك هو ما ينبغي أن يكون خطاب العدالة؛ وسيترتب عن ذلك أن لا نساوي أبدا بين من لا يستوون.» وإنْ ما دار حول هذه النظرية المساواتية من أحداث فظيعة ودموية قد أحاط هذه «الفكرة الحداثية» بامتياز بنوع من المجد والإشعاع مما جعل الثورة كـعرض مسرحي، توقع في سحر غوايتها حتى العقول الأكثر رفعة؛ غير أن ذلك لا يعد داعيا لاحترامها أكثر. -وأنا لا أرى سوى رجل واحد قد تفاعل معها بما تستحق من إحساس: بقرف-إنه غوته. . .

٤٩

غوته. ليس حدثا ألمانيا، بل أوروبيا: حدث رائع لتجاوز القرن الثامن عشر بالعودة إلى الطبيعة، عن طريق عملية ارتقاء إلى المنحى الطبيعي لعصر النهضة، نوع من تغلب على الذات قد مارسه هذا القرن على نفسه. قرنٌ كان غوته يحمل غرائزه القوية في داخله:[119] الإحساس المرهف، تقديس الطبيعة، معاداة

---

(١١٨) أنظر «هكذا تكلم زرادشت»؛ الكتاب الثاني (عن العناكب). انظر أيضا الهامشين ١و٢ من نفس الفصل.

(١١٩) في دفتر مسودات الاعداد «حالة فاغنر»، و«غسق الأوثان»، و«نقيض المسيح» و«هذا هو الانسان» (Mp XVI 4)، يرد هذا المقطع في صيغته الأولية كالتالي: «(قرن) قد أطلق غوته العنان لأقوى غرائزه دافعا بها إلى =

التاريخانية، المثالية، اللاواقعية والثورية(-والثوري ليس شيئا آخر غير شكل للاواقعي). استند إلى التاريخ والعلوم الطبيعية والعصور القديمة، وكذلك إلى سبينوزا، وإلى الممارسة العملية في المقام الأول؛ أحاط نفسه بآفاق مغلقة ولم ينفصل عن الحياة، بل قذف بنفسه في غمارها؛ لم يكن رعديدا، وقد أخذ على عاتقه، ولنفسه، واحتضن بأقصى ما يستطيع من القدْر الممكن. ما كان يريده هو **الكلية**؛ وقد كافح التفرقة بين العقل والحس والشعور والإرادة (التفرقة التي يُدعى إليها ضمن سكولاستيكية مفزعة عن طريق كانط، نقيض غوته)؛ ربى نفسه على بلوغ التكامل، و*خلق* نفسه... كان غوته واقعيا ثابت القناعة داخل عصر مولع باللاواقعية: كان يقول نعم لكل ما له قرابة معه في هذا المضمار،- ولم يكن هناك من حدث عظيم بالنسبة إليه سوى ذلك الـ *ens realissimum* (*الواجب الوجود*) المدعوّ نابليون. كان غوته يصوغ تصورا لإنسان قوي، ذي ثقافة عالية، بارع في كل النشاطات الجسدية، ممسك بعنان نفسه، ممتلئ احتراما لنفسه، بمستطاعه، ومن حقه أن يجرأ على احتضان الواقع في كل اتساعه وثرائه، قويا بما فيه الكفاية لمثل هذه الحرية؛ إنسان متسامح، لا عن ضعف، بل عن قوة، لأنه

= الحد الأقصى من مواجهة بعضها البعض: هكذا تسنى له أن يغدو سيدا عليها جميعا محققا بلوغ مرتبة النموذج الأرقى الذي هو أقرب ما يكون من نموذج رجل النهضة بامتياز. لكن ما أنجزه غوته لنفسه لم يكن بكل تأكيد ما توصلت إليه أوروبا،- لم يكن على الإطلاق هذا الذي يجسده قرننا التاسع عشر. لقد وجد غوته قرنه الخاص به في داخله.»

باستطاعته أن يجيّر لصالحه كل ما يمكن أن يودي بمتوسطي الطبائع إلى حتفهم؛ إنسان لم يعد هناك من شيء ممنوع عليه، عدا *الضعف*، رذيلةً سمّي ذلك أم خطيئةً... عقل متحرر مثل هذا، يقف في حالة من التسليم البهيج الواثق في موقع القلب من الكون، راسخ الإيمان بأن ليس هناك من شيء يمكن أن يكون منبوذا غير الحالة المنعزلة، بينما في المجمل، كل شيء يحظى بالقبول وبالخلاص: *لم يعد ينفي*... -لكنّ إيمانا من هذا النوع هو أرقى ما يمكن أن يوجد من الإيمان: لقد عمّدته بإسم ديونيزوس.-

٥٠

يمكن القول بأن القرن التاسع عشر كان، بمعنى ما، يطمح إلى بلوغ كل ما كان يطمح إليه غوته شخصيا: كونية في الفهم وفي القبول الإثباتي، واستعداد لتقبل كل وافد، وواقعية مصممة، واحترام لكل ما هو واقع. ما الذي جعل الحصيلة النهائية إذن لا تكون شيئا من نوع غوته، بل حالة فوضى، وزفرة عدمية، وهلعا عاما لا يدرَك له أولٌ ولا آخر، ولا مدخل من مخرج، وغريزة إعياء كانت تدفع في الممارسة باستمرار إلى العودة إلى الاغتراف من معين القرن الثامن عشر (في شكل رومنطيقية عاطفية مثلا، وغيرانيّة، وعاطفية مفرطة؛ في شكل نسوية في الذوق، واشتراكية في المجال السياسي). أليس القرن التاسع عشر، في عقوده الأخيرة خاصة، مجرد نسخة لقرن ثامن عشر أكثر *فجاجة وغلظة*، بعبارة أخرى قرن *انحطاط*؟ الأمر الذي

يمكن أن يجعل من غوته مجرد حادث عرضيّ و شيء جميل بلا فائدة، لا بالنسبة لألمانيا فقط، بل لكل أوروبا؟ -لكننا سنكون قد أسأنا فهم عظماء الرجال إذا ما نظرنا إليهم من الزاوية البائسة للمصلحة العمومية. *ولعل ذلك بالذات من خصائص العظمة*، أن لا يجد أحد منفعة في هؤلاء الرجال. . .

٥١

غوته هو الألماني الأخير الذي أكن له احتراما: ويبدو أنه قد كان له حس بثلاثة أشياء لي أنا أيضا حس بها،- كما أننا نتفق حول مسألة «الصليب» أيضا. . . غالبا ما يسألني الناس عن السبب الذي يجعلني أكتب باللغة الألمانية بالنهاية: فليس هناك من بلاد أُقرأ فيها أقل مما أُقرأ في أرض الوطن. لكن من يعرف بالنهاية إن كنت *أرغب* في أن أُقرأ في هذا الزمن؟ -خلق أشياء يكلّ الزمن في محاولة قضمها دون جدوى؛ الاجتهاد عن طريق الشكل، وعن طريق *الجوهر* من أجل خلود صغير-لم أكن أبدا على قدر كاف من التواضع كي أطالب نفسي بأقل من هذا. إن الشذرة، المقولة، التي أمثل فيها المعلّم الأول بين الألمان، هي أشكال لـ«الأبدية»؛ ويتمثل طموحي هنا في أن أقول في عشر جمل ما يقوله أي واحد آخر في كتاب،- ما **لا** يقوله أي واحد آخر في كتاب. . .

لقد وهبت الإنسانية أعمق كتاب مما يوجد بحوزتها اليوم: *زرادشت*ي، وعما قريب سأكون قد قدمت لها الكتاب الأكثر استقلالية.

أشياء أدين بها للقدماء

١

كلمة في الختام عن ذلك العالم الذي بحثت عن منافذ إليه، وربما وجدت مدخلا جديدا إليه؛ -العالم القديم. إن ذائقتي، التي ربما كانت نقيض ذائقة متسامحة، هي هنا أيضا أبعد عن أن تقبل بالأشياء جملة دون تفصيل: لا يحلو لها البتة أن تقول نعم، بل تفضل أن تقول لا، وأفضل من ذلك كله أن لا تقول شيئا. . . ينطبق هذا على حضارات بكليتها، كما ينطبق على الكتب،- وينطبق هذا الأمر أيضا على الأمكنة والمشاهد الطبيعية. وفي الحقيقة، ليس هناك سوى عدد ضئيل من كتب العصور القديمة التي كانت لها مكانة في حياتي؛ ولم تكن مشاهير الكتب من ضمنها. لقد استفاق حسي الأسلوبي، وحسي بالسخرية كأسلوب مع لحظة احتكاكي بكتابات صالّوست(١٢٠)،

(١٢٠) غايوس صالوستيوس كريسبوس (٨٦-٣٤ ق م) كاتب ومؤرخ روماني عرف بأسلوبه البليغ وفصاحته التي جعلته قرين شيشرون في أعين النقاد. من مؤلفاته: «مؤامرة كاتيلينا» و«حرب يوغرطة». (م)

مباشرة تقريبا. ولن أنسى المفاجأة التي حصلت لأستاذي الجليل كورسن وهو يرى نفسه يسند أفضل علامة لأسوأ طالب لاتينية لديه -أنجزت ذلك دفعة واحدة: كثافة، وصرامة، مع أقصى ما يمكن من المادة الجوهرية في العمق، وقسوة باردة تجاه «العبارة الجميلة»، وكذلك «الشعور الجميل» (في هذه الخصائص تعرفت على نفسي حدسا. وسيكون بإمكان المرء أن يتعرف لدي، وحتى داخل زرادشت، على طموح جدي للغاية في مناشدة الأسلوب الروماني، وعلى متانة "aere perennius" في الأسلوب-أكثر صلابة من البرونز-). لم يكن الأمر ليختلف لدى أول احتكاك لي بهوراس. وإلى اليوم لم أعرف لدى أي من الشعراء مثل تلك النشوة الفنية التي كان يمنحني إياها نشيد هوراسي منذ البداية. إن ما يُتوصّل إليه هناك يعد أمرا تستحيل حتى مجرد الرغبة في بلوغه في لغات معيّنة أخرى. تلك الفسيفساء اللفظية، حيث كل كلمة، بجرسها الخاص وموقعها المناسب وفكرتها، تتدفق طاقة تفيض يمينا وشمالا وتغمر الكل؛ ثم ذلك الحد الأدنى من العلامات كمّا وانتشارا وما يتولد عنه من حد أقصى من الطاقة الإيحائية. كل ذلك روماني، وكل ذلك، إذا ما شئتم أن تصدقوني، *نبيل* بامتياز. وكل ما عداه من الشعر سيكون مقابل ذلك شيئا مفرطا في الشعبية؛- مجرد ثرثرة عاطفيّات...

٢

لا أدين للإغريق بأية انطباعات قوية مماثلة؛ ولكي نقولها

بصراحة، فهم لا يستطيعون أن يكونوا بمنزلة الرومان بالنسبة إلينا. إننا لا نتعلم من الإغريق؛ فطابعهم غريب جدا، وهو إلى جانب ذلك مفرط السيولة كيما يكون له فعل ملزِم «كلاسيكي»، وكيما يكون له فعل العمل «الكلاسيكي». من كان سيتعلم الكتابة عن الإغريق يا ترى؟ ومن كان سيتعلم ذلك من دون الرومان؟.. ولا يُعترضنّ عليّ بأفلاطون! فأنا في ما يتعلق بأفلاطون ريبي حتى النخاع، وكنت على الدوام على هامش معزوفة الإعجاب بأفلاطون *الفنان* المتداولة بين العلماء. ولديّ بالنهاية إلى جانبي في هذا المضمار أكثر حكّام الذوق رهافة من بين القدماء أنفسهم. أفلاطون يخلط، كما يبدو لي، بصفة عشوائية بين كل الأشكال الأسلوبية، وهو بذلك *أول المنحطين* في مجال الأسلوب: إنه على نفس الدرجة من الذنب تقريبا من الكلبيين الذين ابتكروا «مهجيّة مينيبّي».[(١٢١)] ولا بد أن يكون

---

(١٢١) مينيبي، أو المتهكّم الخجّاء مينيبوس هو أحد الكلبيّين (Menippe de Sinope) من معاصري ديوجينس، اشتهر بسخرياته ومهجيّاته اللاذعة المصاغة في شكل يتمازج فيه الشعر بالنثر. وبالرغم من إعلانه الانتماء إلى الكلبية، فإنه لم يكن يحظى إلا بالاحتقار والازدراء من قبل ديوجينس رأس المدرسة الكلبية الذي قال عنه من بين ماقال من شتائم:

«فينيقي المولد، لكنه كلب كريتي،

المُرابي، ذلك هو الإسم الذي شُهر به،

لعلك تعرف دون شك مينيبي.

ذات يوم عندما اقتُحم بيته في طيبة، وخسر كل ما يملك، جاهلا بما هو الكلبي الحقيقي، قد عمد إلى شنق نفسه.»

لم يصل الناس من مهجياته سوى الإسم الذي اتخذه كتاب آخرون من بعد عناوين لمهجيات مماثلة في نسخ لاتينية متأخرة: «مهجية مينيبي» للكاتب =

المرء ممن لم يقرأ فرنسيين جيدين، فونتنيل مثلا، كي يجد شيئا من السحر في محاورات أفلاطون؛ ذلك النوع من الجدل ذي الطابع الصبياني المعتد بنفسه حد القرف. أفلاطون مملّ حقا. وأخيرا، فإن ريبتي تجاه أفلاطون تذهب إلى ما أبعد وأعمق: إنني أجده شديد الانحراف عن كل الغرائز الهللينية الأساسية، شديد التخلّق، ومسيحيا قبليّا على غاية من المسيحية؛ وهو الذي جعل من مفهوم «الخير» المفهوم الأرقى، الأمر الذي يدفع بي إلى تفضيل عبارة «الدجل الأرقى»، عبارة حادة الوقع، لنعت مجمل الظاهرة الأفلاطونية، أو المثالية، إذا ما فضلنا سماع كلمة أخرى. ولقد دفعنا الثمن غاليا على أية حال باقتحام هذا الأثيني للمدارس المصرية (-أم اقتحامه لأوساط اليهود في مصر؟...) كان أفلاطون يمثل داخل المَهلَكة المسيحية ذلك الغموض المبْهر المسمى «مثالا»، الذي جعل الطبائع الأكثر نبلا من العصور القديمة تسيء فهم نفسها، وتضع أقدامها على الجسر المؤدي إلى «الصليب»... ولكم هناك من بصمات لأفلاطون في فكرة «الكنيسة»، وفي المعمار، وفي النظام والممارسات الكنسيّة!-لقد كان توقيديدس في كل وقت فسحة استراحتي وحصتي المفضلة

= الروماني ماركوس تيرنتيوس فارّو وهو كاتب وعالم من القرن الأول قبل الميلاد ومعاصر ليوليوس قيصر. وهذا الأثر هو أيضا مجموعة من الأشعار الهزلية الساخرة لم يصل منها إلى عصرنا سوى بعض شذرات. أما الأثر الآخر المعروف بهذا الإسم والذي أصبح أكثر شهرة في أوروبا فهو مؤلف جوستوس ليبسيوس فيلسوف من القرن الساس عشر من بلاد بلجيكا الحالية. (المترجم)

وعلاجي من كل أفلاطونية. كان توقيديدس وربما أمير ماكيافيللي أقرب إليّ في أغلب الأحيان عبر الإرادة المطلقة لعدم خداع النفس، ولرؤية الصواب في *الواقع*، لا في «العقل»، وأقل من ذلك في «الأخلاق»... وتوقيديدس هو العلاج الجذري الأنجع من الصورة المنمّقة البائسة لمثالية اليونانيين التي تقدم للشاب ذي «التكوين الكلاسيكي» زادا لحياته ومكافأة له عن الترويض الذي تلقاه في «الليسي». لا بد أن نقلّبه سطرا سطرا، وأن نتهجى خلفياته بدقة، تماما مثل كلماته: فليس هناك سوى قلة من المفكرين الذين ينطوون على مثل هذا الثراء في الأفكار المبطّنة. معه تبلغ ثقافة السفسطائيين، أعني ثقافة الواقعيين، ذروة اكتمالها التعبيري: تلك الحركة ذات القيمة التي لا تقدّر وسط الدجل الأخلاقي والمثالي للمدارس السقراطية الذي راح يكتسح البلاد طولا وعرضا. الفلسفة اليونانية هي انحطاط الغزائز الإغريقية، وتوقيديدس هو الحاصل النهائي والتجلي الأخير لروح الواقعية القوية الصارمة والقاسية التي كانت تقطن غرائز الهلينيين القدامى. إن *الشجاعة* في مواجهة الواقع هي ما يفرق بين توقيديدس وأفلاطون: أفلاطون جبان أمام الواقع، *وبالتالي*، فإنه يفر إلى المثال؛ أما توقيديدس فسيّد على نفسه، لذلك يظل سيّدًا على الأشياء أيضا...

٣

كان الخبير النفساني الذي أحمله في داخلي يحميني دوما من أقع في تلك «السذاجة الكبرى»، أو السخافة الألمانية الكبرى

التي تتوهم تحسس «أنفس جميلة» و«توسط ذهبي» وكمالات أخرى في اليونانيين، ومِن أن أُكبر فيهم السكينة التي لهم في العظَمة، والحس المثالي، ونبل البساطة. كنت أرى غريزتهم القوية وإرادة القوة، وكنت أراهم يرتجفون أمام القوة العاتية لتلك الغريزة، -كنت أرى كل مؤسساتهم تنمو من صلب الإجراءات الحمائية حرصا على التحصن، الواحد تجاه الآخر، من *المادة الانفجارية* التي تسكنهم. وكانت شحنات التوتر الداخلي الهائل تفرغ نفسها في شكلٍ عدائيةٍ فظيعة لامحدودة موجّهة إلى الخارج: كانت المجموعات الحضرية تتناهش في ما بينها كي يتمكن مواطنوا كل مدينة على حده من تفادي التقاتل الداخلي. كان عليهم أن يكونوا أقوياء، لأن الخطر كان على الأبواب، محدقا بهم في كل موقع. فالرشاقة الجسدية البديعة، والواقعية الصارمة، واللاأخلاقية القصوى التي كانت مقترنة بالهللينيين كانت *حاجة*، لا شيئا «طبيعيا» فيهم. لقد جاءت كنتيجة، ولم تكن شيئا مقترنا بهم منذ البداية. ولم تكن الاحتفالات والفنون سوى وسيلة تجعلهم يشعرون بأنفسهم في موقع متفوق، *ويظهرون* بمظهر المتفوقين: كانت تلك وسائل لتوقير أنفسهم، و لجعل أنفسهم مرهوبين أيضا... أن نحكم على اليونانيين على الطريقة الألمانية، انطلاقا من فلاسفتهم، وأن نتخذ استقامة المدارس السقراطية معيارا لتوسّل تعريفٍ لما هو هيلليني حقا!... لكنّ الفلاسفة كانوا العناصر المنحطة في الحضارة الهيللينية، والحركة المضادة للذوق القديم والنبيل (ضد غريزة المبارزة، وضد سياسة المدينة، وضد قيمة العنصر، وضد سلطة

الموروث). لقد جاءت الدعوة إلى الفضائل الأرسطية، لأن اليونانيين كانوا قد أضاعوا فضائلهم القديمة: سريعي الانفعال، فزعين، متقلّبين وممثّلين غدوا كلهم؛ هكذا كان لهم أكثر مما ينبغي من الأسباب لكي يُكرز فيهم إلى الأخلاق. لا لأن ذلك كان سيفيدهم في شيء؛ لكنّ فخامة العبارة والهيآت الاستعراضية تتلاءم جيدا مع المنحطين...

٤

كنت أول من أخذ بجدية تلك الظاهرة الرائعة التي تحمل إسم ديونيزوس، وذلك من أجل فهم الغريزة الهللينية القديمة التي ما زالت تفيض ثراء: ظاهرة لا تجد من تفسير لها إلا في وجود *فائض* من الطاقة. وكل من اهتم بدراسة اليونانيين، مثل الأستاذ ياكوب بوكهارت[١٢٢] من بازل، ذلك الخبير الفذ العارف بحضارتهم، والأكثر عمقا من بين العارفين بها من الأحياء، سيدرك بسرعة الأهمية التي تكتسيها هذه الظاهرة داخلها: وقد خصص لها بوكهارت فصلا بكامله داخل «حضارة اليونانيين».

---

(١٢٢) ياكوب (جاكوب) بوكهارت (١٨١٨-١٨٩٧) أستاذ التاريخ بجامعة بازل. مؤرخ وخبير في تاريخ الفن وفلسفة التاريخ. من مؤلفاته «تاريخ الحضارة اليونانية». مفهومه الفرداني للثقافة وميله إلى تبجيل الجمهوريات المواطنين الصغيرة وريبته تجاه سلطة الدولة وتعصب الديانات التوحيدية، وكذلك افتتانه بالحضارة الإغريقية وبعصر النهضة و مرجعيته الشوبنهاورية قد جعلت منه المعلم الأكبر لنيتشه الذي يعتبره بعض النقاد وريثه ومواصل عمله الفكري. (المترجم)

وإذا ما أردنا أن نلمس العكس، فليس علينا سوى أن نطلع على الضحالة الغريزية التي تكاد تبعث على الفكاهة لدى الفيلولوجيين الألمان، عندما يقتربون من الظاهرة الديونيزية. الشهير لوبيك(١٢٣) على وجه الخصوص، ذلك الذي، وبوثوق جدير بالاحترام، سيظل، على غرار دودة منحشرة بين صفحات مجلد، يزحف داخل عالم تلك الأحوال الأكثر سرية وغموضا ليقنع نفسه بأنه يتحول بذلك إلى خبير علمي، الأمر الذي سيجعله سطحيا وصبيانيا إلى حد القرف،- لوبيك، مجندًا كل تكوينه العلمي، سيفيدنا بأن كل تلك الغرابات لا تمثل شيئا ذا قيمة في نظره. ويبدو، حسب ما يورده، أن الكهنة كانوا يقدمون للمشتركين في تلك الحفلات الشبقية بعض المعلومات التي لا تخلو من قيمة، مثلا، أن الخمر تهيّج الشهوة، وأن الإنسان يمكنه في حالات بعينها أن يغتذي من الثمار فقط، وأن النباتات تزهر في الربيع وتذبل في الخريف. أما عن الثراء الغريب في الطقوس والرموز والأساطير التي تضرب بجذورها في احتفالات العربدة الشبقية التي كان يعج بها -بأتم معنى الكلمة- عالم العصور القديمة، فإن لوبيك لا يجد فيها سوى فرصة للارتقاء بنفسه درجة إضافية على سلم الرقيّ الذهني: «عندما لا يكون لدى الإغريق من شيء يفعلونه، يقول في (Aglaophamus I, 672)، ينخرطون في

---

(١٢٣) كريستيان أوغست لوبيك (١٧٨١-١٨٦٦) فيلولوجي ألماني من القرن التاسع عشر. له بحوث في ميدان العلوم الدينية واللغة الإغريقية. كان آخر باحث ألماني في مجال العلوم الإنسانية يحرر بحوثه كليا باللغة اللاتينية. (المترجم)

الضحك، أو يقفزون، ويتراكضون في كل الاتجاهات، أو أنهم، ولأن الإنسان قد تأخذه بين الحين والآخر رغبة في ذلك، يجلسون على الأرض وينخرطون في البكاء والتفجع. ثم يأتي آخرون من بعد وينكبون على محاولة إيجاد تفسير ما لهذا السلوك الغريب؛ وهكذا يتكوّن عدد لا يحصى من الحكايات والأساطير لتفسير هذه العادات. ومن ناحية أخرى، كانوا يعتقدون أن تلك *الأعمال التهريجية* التي مورست في أيام الاحتفال جزء ضروري في الطقس الاحتفالي، فاحتفظوا بها إذن كمكوّنة لا غنى عنها في القدّاس.»- إنه حقا هراء تافه، وما من أحد سيأخذ لوبيك بجدية ولو للحظة واحدة. غير أنه سيحزّ فينا على نحو مغاير عندما نتفحص الفكرة «اليونانية» التي كونها كل من فينكلْمان وغوته لنفسيهما، ونجد أنها لا تتوافق مع تلك العناصر التي يتأسس عليها الفن الديونيزي؛ أي مع ظاهرة الطقس الشبقي. وأنا على قناعة بالفعل أن غوته قد تعمد عن مبدأ إقصاء أمر من هذا النوع من مجمل الإمكانيات التي تشكّل الروح الإغريقية. *وبالتالي فإن* غوته *لم يفهم اليونانيين*. إذ، في الأسرار الديونيزية وحدها، وفي سيكولوجية الحالة الديونيزية يفصح *الواقع الجوهري* للغريزة الهيللينية عن نفسه؛ «إرادة الحياة» التي تسكنها. ما الذي كان يضمنه الهلليني لنفسه عن طريق هذه الأسرار؟ إنها الحياة *الخالدة*، والعود الأبدي للحياة؛ المستقبل مكرَّسا وموعودا في الماضي؛ الإثبات الظافر للحياة في ما وراء الموت والتحوّل؛ *الحياة الحق* كتواصل جماعي عن طريق التناسل وأسرار الممارسة الجنسية. لذلك كان الرمز *الجنسي* لدى اليونانيين هو الرمزَ

االجليل في ذاته، إنه الفهم العميق الحقيقي داخل مجمل ورع العصور القديمة؛ وكل جزئيات العملية التناسلية والحمْل والولادة كانت تثير فيهم أرقى المشاعر وأكثرها حبورا. وكانت تعاليم الأسرار تغمر *الألـم* بآيات التقديس؛ فـ«أوجاع الولادة» تضفي قداسة على الألم عامة،- وكل صيرورة ونمو، وكل ما ينطوي على مستقبل يستوجب الألم... ولكي تكون هناك تلك الرغبة الأبدية في الخلق، ولكي تظل إرادة الحياة تثبت ذاتها بصفة أبدية، لا بد أن يكون هناك أيضا «عذاب ولادة» أبدي... كل ذلك هو ما تعنيه عبارة ديونيزوس؛ ولا أعرف رمزا أرقى من هذا الرمز اليوناني: الرمز الديونيزي. داخله تكتسي الغريزة الحياتية الأعمق، غريزة مستقبل الحياة، وغريزة ديمومة الحياة صبغة دينية في إحساس الناس،-ويكون الطريق إلى الحياة، طريق التناسل هي الطريق المقدسة...

وحدها المسيحية، بضغينتها العميقة ضد الحياة هي التي جعلت من الجنس دنسا: لقد لطّختْ *بالوحل* شرطَ حياتنا الأول...

٥

لقد مكنتني سيكولوجيا الطقس الشبقي كتيار جارف من الإحساس بالحياة وبالطاقة داخله يغدو حتى للألم فعل المثير، من مفتاح لتلمس فكرة الإحساس *التراجيدي* الذي أخطأ فهمه أرسطو وكذلك متشائمونا على وجه الخصوص. إن التراجيديا أبعد ما يكون عن أن تكون دليلا على شيء من التشاؤم الهلليني

بالمعنى الذي يفهمه شوبنهاور، حتى أنه بإمكاننا أن نعتبرها بالأحرى صيغة نفيه، *والحجة المناقضة* له. إن الاستجابة الإثباتية للحياة بما في ذلك مشكلاتها الأكثر غرابة والأكثر قسوة؛ وإرادة الحياة، مبتهجة بالتضحية بأرقى أنواعها لصالح ثرائها الذي لا ينضب، ذلك هو ما سميته ديونيزية، وذلك ما لمست فيه، بمجرد حدس، جسرا نحو سيكولوجية الشاعر *التراجيدي*. ولا يتعلق الأمر هنا بتخلص من الرعب والشفقة، ولا بتطهير من أحاسيس خطيرة عن طريق تفريغ عنيف-ذلك ما فهمه أرسطو-؛ بل من أجل أن يتحد، في ما وراء الرعب والشفقة، مع متعة الصيرورة نفسها،-تلك المتعة التي تحمل متعة *التدمير* أيضا في داخلها... وبهذا ألامس مجددا ذلك الموقع الذي انطلقت منه: لقد كان «مولد التراجيديا» أول عملية قلب لكل القيم قمت بها؛ وبذلك أجد نفسي أقف من جديد فوق الأرض التي نبتت منها إرادتي، ومقدرتي، أنا آخر تلامذة الفيلسوف ديونيزوس،-أنا، معلّم العود الأبدي...

المطرقة تتكلم

«لم هذه القسوة؟ -قال الفحم الحجري مخاطبا حجر الماس؛ أليست بيننا قرابة ونسب؟»

ولِم هذا اللين؟ أسألكم بدوري؛ أي إخوتي، أولستم إخوة لي؟

لم كل هذا اللين، وهذه الطواعية، وهذا الانصياع؟ لم كل هذا التنكر والنكران الذي في قلوبكم؟ ولا شيء سوى هذا النزر الضئيل من صرامة القدر في عيونكم؟

وإن كنتم لا تريدون أن تكونوا قدرا و عزائم لا تنثني، فكيف يمكنكم أن تكونوا شركاء نصر-معي ذات يوم إذن؟

وإذا ما كانت قسوتكم لا تريد أن تبرق وتقطع وتفصل، فكيف سيكون لكم أن تكونوا شركاء إبداع -معي ذات يوم إذن؟

ذلك أن كل المبدعين قساة في الحقيقة. ولتكن غبطةً في أعينكم إذن أن تحكموا أيديكم في ما مضى من آلاف القرون كما لو كنتم تعركون شمعا بأصابعكم،-

-غبطة الكتابة على إرادة آلاف السنين كتابتَكم على معدن قلّزي- أكثر صلابة من القلزّ، أكثر نبلا من القلزّ؛ فالأكثر صلابة وحده هو الأكثر نبلا.

هذا اللوح الجديد، أعلقه فوقكم يا إخوتي: لتغدوا قساة!-

(هكذا تكلم زرادشت: عن الألواح القديمة والجديدة)

المحتويات

هذا الكتاب

الرجال الذين سيولدون بعد الممات - أنا على سبيل المثال - سيسوء فهمهم أكثر من المطابقين لعصرهم، لكنه سيُستمع إليهم بصفة أفضل. ولنقلها بأكثر صرامة: لن يكتب لنا أن نُفهم البتة؛ - *من هنا* تكون *سلطتنا*...